كلمات من القلب
خطب إسلامية معاصرة

حقوق الطبع محفوظة
١٤٢١-٢٠٠٠

إبراهيم النعمة

كلمات من القلب
خطب إسلامية معاصرة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمـــة

يا رب لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك! رضينا بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد ﷺ نبياً ورسولاً! والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وأصحابه ومن دعا بدعوته واختط سبيله أبداً إلى يوم الدين!

وبعد:

فهذه خطب أيام الجمعة قمت بإلقائها من فوق منبر جامع الحاج ذياب العراقي في الموصل بعد أن تم إنشاؤه وافتتاحه. ويجد القارئ الكريم فيها صفحة مشرقة وضاءة من صفحات المجد الاثيل والخلق النبيل.. إنها تصور القمة السامقة التي كان عليها المسلمون يوم تمسّكوا بإسلامهم، والهوة السحيقة التي تردوا فيها بعد أن اعرضوا عن صراط الله المستقيم. وتتجلى فيها – أيضاً– حقيقة عظيمة اقرها المفكرون في العالم قديماً وحديثاً. مسلمون وغير مسلمين: هي أن لا صلاح لهذه الأمة إلا بالإسلام.

وفي هذه الصفحات تشخيص لداء المسلمين ودوائهم، ومقارنة لأوضاع المسلمين بأوضاع غيرهم ليتضح أمامنا البون الشاسع بين تربية الإسلام وتربية غيره.

ومما دعاني إلى طبع هذا الكتاب حاجة كثير من إخواننا الخطباء إلى كتاب يستعينون به في إعداد خطب الجمعة إعداداً

يعرضون به الإسلام عرضاً سليماً واضحاً.. وهو -بعد ذلك- ثقافة إسلامية عامة يحتاج لها كل مسلم، وبخاصة من يتصدى لدعوة الناس إلى الإسلام.

والله أسأل أن يلهمنا الصواب، ويوفقنا لما يحبه ويرضاه، ويجعل أعمالنا خالصة لوجهه الكريم، وينفعنا بها يوم الدين، ويكتب لنا حسن الخاتمة، ويفرّج عن المسلمين ما هم فيه من تفرّق، وتناحر وتنافر! ومن الله التوفيق، والحمد لله رب العالمين.

إبراهيم النعمة

الوحدة الإسلامية

لو أراد أحد أن يجمع ديننا في كلمة واحدة لما وجد غير كلمة التوحيد، ولو أراد إنسان أن يذكر أول خطوة ينبغي أن يخطوها المسلمون ليستعيدوا المجد المفقود والعزة الغاربة لما وجد غير التوحيد والتوحد. هذا كتابنا الكريم ينطق كلما استنطق محذراً من التمزق والتفرق، والتبدد والتشتت، يقول المولى الكريم:

(... وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ...) سورة الأنفال/ ٤٦.

أما الرسول الكريم ﷺ فقد حثنا، بل حضنا على أن ينصر بعضنا بعضاً، ويدافع بعضنا عن بعض، نتساند ولا نتخاذل، نتقارب ولا نتباعد، نتعاون ولا نتنابذ، نحرص على وحدتنا النابعة من ديننا حرصنا على أرواحنا وأولادنا، بل اشد من حرصنا على أرواحنا وأولادنا، وما ابلغ تصويره ﷺ لما يجب أن نكون عليه من التناصر والتعاون والتعاطف:

(مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى) رواه الإمام احمد ومسلم.

على أن الرسول الكريم ﷺ فوق ذلك قد خوفنا من سوء وفساد وفرقة وشتات، وأخبرنا أن نضرب بالسيف من يفرق أمر امتنا وهى جميع كائناً من كان، فقال ﷺ :

(ستكون بعدي هنات وهنات، فمن رأيتموه فارق الجماعة، أو

يريد أن يفرق أمر أمة محمد كائناً من كان فاقتلوه، فإن يد الله مع الجماعة، وإن الشيطان مع من فارق الجماعة يركض) رواه النسائي وابن حبان في صحيحه.

وقد قرر الفقهاء –وهم على حق فيما قرروا–: أنه إذا بويع لأميرين يقتل الثاني منهما، حتى لا تذهب وحدة هذه الأمة.

إننا حين نتصفح التاريخ الحديث ونتأمل فيه، نرى أن السلطان عبد الحميد –رحمه الله– كان شديد التحمس لوحدة المسلمين، شديد الحرص على تجميعهم وتجمعهم، فنادى بالجامعة الاسلامية، وحشد لها إلى جانب مواهبه وطاقاته التي حباه الله إياها كل ما يمكن أن يجمعه سلطان عظيم في مثل وضعه وإمكاناته.

لقد كان يعلم بحدة ذكائه، ونفاذ بصيرته، وصادق تجاربه بمداخل سياسات الدول الأوربية ومخارجها، وكان يعرف جشعها ومطامعها إلى افتراس المسلمين واستعمارهم وكان يعرف ألاَّ ملجأ للمسلمين ولا منجى لهم إلا بتوحيدهم واجتماعهم، فأطلق صيحته المدوية: (يا مسلمي العالم اتحدوا..)، ومضى يعمل على تجميع المسلمين على كلمة سواء، فشجع العلماء وأكرمهم، وأكثر من نشر كتب العلم، وأرسل الوفود تدعو إلى الإسلام. وكان –رحمه الله– يشاهد دسائس اليهود والدول الأوربية لتمزيق المسلمين بالدعوات العنصرية، فقرب إليه أعيان العرب والأكراد، وكان

يجتهد في التقريب بينهم وبين الأتراك حتى لا يجد أعداء الإسلام سبيلاً إلى التفريق بينهم وضربهم ببعضهم. ولما رفض تسليم (فلسطين) إلى اليهود، هدده اليهودي الفاجر (قره صو) ببرقيته المشهورة التي جاء فيها:

(سترى أن موقفك هذا سيكلف دولتك غالياً، وسيكلفك أنت شخصياً ثمناً غالياً..)

وما هي إلا سنوات قليلة حتى اندفع الضباط الشبان، السفهاء الاغرار، يوجههم الماسونيون والصليبيون إلى خلع السلطان عبد الحميد. وقد تقدمَّ إليه بوثيقة الخلع ثلاثة:

١- اليهودي الذي طرده لما أراد منه إعطاء فلسطين لليهود.

٢- رجل نصراني.

٣- مسلم مغفل.

وقد قدم إليه وثيقة الخلع اليهودي، فقال –رحمه الله–:

والله ما آلمني التنازل عن عرش المسلمين كما آلمني أن يقدم إليَّ وثيقة التنازل الرجل اليهودي الذي طردته لما أراد فلسطين.

ورفع الغلمان السفهاء الأغرار شعارهم بل ثالوثهم: (حريّت، عدالت، مساواة)، فما حصد الناس من شعاراتهم إلا النكد والشقاء!ولما تقوضت الدولة الإسلامية في أواخر الحرب العالمية

الاولى، وغربت شمس الخلافة وافترس الغرب الفاجر اكثر بلاد المسلمين، كانت الروح الإسلامية تنتفض وتثور هنا وهناك، وكانت تستعصي على الترويض والكبت كلما حاولت دول الاستعباد تذليلها وكبتها، حتى نالت بعض الشعوب الإسلامية ظلاً باهتاً من الحرية وألواناً من الحكم، في ظاهر الكثير منها الرحمة، وفي باطنها من قبلها العذاب.

لقد سلمت دول الغرب المستعبد البلاد التي خرجت جيوشها منها إلى من تطمئن إلى انهم سيفتحون لها الشبابيك بعد أن يغلق من خلفهم الباب.

لقد حرصت على إخماد روح الإسلام المتوثبة قبل أن تخرج من بلاد المسلمين التي خرجت منها، حتى لا يعود المسلمون أمة واحدة، تجمعهم راية واحدة، فكانت الدعوات العنصرية الضيقة، وكانت الدعوة إلى الوطنية التي ألبست لبوس الدين!

ومضى الغرب والشرق يدعو إلى تجمعات، ليرفع فوقها لافتات براقة، لكنها –كلّها– تلتقي في هدف واحد: وهو إبعاد الإسلام عن أن يصبح راية يكون تحتها التجمع والتحشد: فمرة دعوة إلى (الوحدة الأفريقية) التي كان يرعاها الصليبي الأفجر (هيلاسي لاسي) ومرة ترفع لافتة دول (عدم الانحياز)، ومرة (الحياد الإيجابي)... وهكذا وهكذا إلا الإسلام. وكلما انطلقت دعوة لتجميع المسلمين، ونفض غبار الذلة والغفلة عنهم، ارتفعت

أصوات حاقدة تردد ما يوحى لها أن تردده.

هذه رجعية!

هذه دعوة إلى التخلف!

هذه دعوة ستثير علينا دول الغرب والشرق!

كيف ندعو إلى تجمع تحت اسم الإسلام وبين ظهرانينا نصارى؟!!

يوصي (البابا يوحنا الثالث والعشرون) النصارى بأن يتوحدوا، فلا يرتفع صوت بأن هذه رجعية. ومن قبلها نادى (كارل ماركس): يا عمال العالم اتحدوا، فلتقابلْ دعوته بالإجلال، فهي تقدمية!

ويجتمع اليهود باسم الدين وبدافع الدين إلى (فلسطين) التي تبشرهم التوراة بالرجوع إليها، ويقيمون دولتهم ويسمونها باسم نبيهم، فلا يقول قائل لا في الشرق ولا في الغرب هذه رجعية، ولا تردد الببغاوات عندنا وتجتر مثل هذه الكلمات التافهات في حق اليهود. وقد كانت (روسيا) تدعو إلى قيام الوحدة بين (الأمم السلافية)، فما قال لهم قائل ما يكدرها! أما يوم تكون الدعوة إلى الإسلام، والى التجمع تحت اسم الإسلام، فلترفع العقارب والحيات رؤوسها، ولتملأ الدنيا بفحيحها!

إن هؤلاء المشفقين من الإسلام والتجمع تحت اسمه، الخائفين من أن يتهموا بالتعصب نقول لهم: ألووا رؤوسكم نحو

مـن تتلقـون مـنهم الـوحي والأوامـر، وانظـروا كـم هـم متعصـبون لدينهم، وكم هم متعصبون علينا وعلى ديننا؟!

إن (جورج بيدو) وزير خارجية فرنسا صرح سنة ١٩٥٤ يوم انفجرت ثورة الجزائر قائلاً:

(لن أدع الهلال يغلب الصليب في الجزائر).

ولمـا دخـل (الجنـرال اللنبـي) مدينـة القـدس الشـريف سـنة ١٩١٧ أعلن قائلاً:

(اليوم انتهت الحروب الصليبية).

وما أريد أن أكثر من الاستشهاد، ولكنني أسأل:

مـا هذا الذي تخشونه من تجمع دول الشرق والغرب ضدنّا إذا نادينا بالإسلام؟

هل صادقتنا هذه الدول لما تركنا ديننا، واقتبسنا من ضلالها وباطلها؟

وهل هى اليوم، غير مجتمعة ضدنا حتى نخاف أن تتجمع؟

ألا ترون؟

ألا تعقلون؟

ألا تتفكرون؟

هـذه (فرنسـا) و(ألمانيـا) كـان بينهمـا مـن النـزاع والخصـام والفرقـة والشـتات مـا لـم يكـن بـين أمتـين غيرهمـا. لقـد كانـت الأم الفرنسية إذا أرادت أن تسكت طفلها تقول له:

سأعطيك بندقية حتى تقتل ألمانياً!

وهـا نحـن أولاء نجـد الآن مـن التقـارب مـا بـين الأمتـين (الألمانية) و (الفرنسية) ما قد لا نجده بين أمتين غيرهما.

إن تفريق المسلمين هدف يهدف إليه أعداء الإسلام.

لقـد نشـر (حـاييم وايـزمن) أول رئـيس لدولـة إسـرائيل فـي مذكراته: أنه اقترح على فرنسا يوم كانت تحكم (سوريا) أن تتنازل لـ (تركيـا) عـن لـواء (الاسـكندرونة) لكـي يكـون ذلـك سـبباً للنـزاع المستمر بين العرب والأتراك!

فهل من مدّكر؟

وهل من معتبر؟

كلمــة خالــدة

أثارت دهشتي وإعجابي كلمة لأمير من أمرائنا وعظيم من عظمائنا ما يكاد يعرفه أحد منا، لأن الغزو الفكري والروحي الذي ابتلينا به –ولا نزال كذلك– جعل شبابنا وشيبنا يعرفون من تاريخ أعدائنا أكثر بكثير مما يعرفونه من تاريخنا وديننا.. هو الرجل الذي قال فيه عمر بن الخطاب ﷺ:

(وددت لو أن لي رجالاً مثل عمير بن سعد، استعين بهم على أعمال المسلمين ...).

وعميرٌ هذا الذي نحن بصدده، هو الذي قال على منبر (حمص) هذه المقولة المدهشة الرائعة التي استوحاها من الإسلام العظيم: (لا يزال الإسلام منيعاً ما اشتد السلطان. وليس شدة السلطان قتلاً بالسيف ولا ضرباً بالسوط، ولكن قضاءاً بالحق وأخذاً بالعدل).

لا عجب أن يكون عمير هذا عاملاً لعمر، فالعادل لا يولي على الأقطار والأمصار إلا عادلاً مثله أو قريباً منه في عدله. وعمر العادل هو الذي ادهش بحالته وفد الفرس وعقد ألسنتهم أو كاد لما رأوه مضطجعاً على الأرض وقد أثّر الحصى في خدهّ!

ما كان نائماً على فراش وثير في قصر فخم ضخم، حجارته من عظام الناس، وملاطه من لحوم الناس ودمائهم! وما كان له حراس غارقون في السلاح، يغطون عين الشمس من كثرتهم! رأوه

على حال ما عهدوا الملوك على مثلها، فلذلك قال رئيسهم:

أين حجّابه؟

أين حراسه؟

ثم قال مخاطباً إياه: عدلت فأمنت فنمت.

وراع صاحب كسرى أن رأى عمراً

بين الرعية عطلاً وهو راعيها

وعهده بملوك الفرس أن لـها

سوراً من الجند والأحراس يحميها

فهان في عينـه ما كان يكبره

من الاكاسر والدنيا بأيديـها

وقال قولـة حقّ أصبحت مثلاً

وأصبح الجيل بعد الجيل يرويـها

آمنت لما أقمت العدل بينهم

فنمت نوماً قرير العين هانيها

فليس إذن عجباً أن يولي عمر عمير بن سعد، وليس عجباً أن يكون عمير بن سعد والياً لعمر...!

نرجـع إلـى قـول عميـر: (لا يـزال الإسـلام منيعـاً مـا اشـتد السلطان).

وهذا قـول رجـل فقيـه فـي الإسـلام، يعـرف حـق المعرفـة أن الإسـلام حكم وسياسـة كمـا انـه عبـادة وقيـادة، ومصـحف وسيف،

ومعرفة وثقافة، وان الإسلام لا يعرف سياسة منفصلة عن دين، ولا ديناً بعيداً عن السياسة، فذلك شيء خلاف طبيعته. فالسلطان والحكم ينبغي أن يكون للإسلام وحده، والله يخاطب رسوله الكريم في آية محكمة من كتابه الكريم:

(إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ) سورة النساء /١٠٥.

وعمير يفقه أن الإسلام يقوى ويشتد عوده، ما دام الحاكم باسمه والمنفذ لأحكامه قوياً عزيزاً شديداً.

وإذا كان الله ﷻ يحب من عبده أن يكون قوياً، إذ المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، فهو كذلك – سبحانه– يحب أن تكون أمة حبيبه محمد ﷺ قوية غير ضعيفة، غنية غير فقيرة، عزيزة غير ذليلة. ولهذا امرنا من فوق سبع سماواته أن نعد لأعدائه وأعدائنا كل صنف من أصناف القوة فقال:

(وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ..) سورة الأنفال/٦٠.

وكلمة (قوة) نكرة، وهي تعم كل أنواع القوة التي تعرف كل في زمانها.

وسيدنا عمير –منّ الله على المسلمين بأمثاله– لا يفهم شدة السلطان وحزمه وقوته كما يفهمها من لم يؤت حظاً من فهم

القرآن ومبادئ الإسلام. فلننظر ولنسمع فبماذا يرى عمير شدة السلطان وقوته وحزمه؟ اسمعوه يقول:

(وليس شدة السلطان قتلاً بالسيف ولا ضرباً بالسوط).

فبماذا إذن تكون شدة السلطان وقوته يا سيدنا وعامل سيدنا؟

اسمعوه يقول: (ولكن قضاءاً بالحق وأخذاً بالعدل).

إنها رسالة محمد ﷺ .

إنها النبوة الهادية الحانية التي حركت شفتيها داعية مناجية الله: اللهم من رفق بأمتي فارفق به، ومن شقّ عليهم فاشقق عليه!!

لنفتح القرآن، ولنتل قوله تعالى:

(إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنْ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) سورة النحل/٩٠.

في هذه الآية الكريمة يذكر الله ﷻ مع العدل أمرين:

أولهما: الإحسان، ويراد به أن تكون الأعمال كاملةً متقنةً، والنفع يصل إلى عامة الناس. وقديماً قال ﷺ وقد سئل عن الإحسان:

(أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك) رواه مسلم.

ثانيهما: إيتاء ذي القربى. والمراد به: صلة الرحم في كل جوانبها. وخصَّ ذوي القربى بالذكر لأن حقهم أوكد واقرب وأعقب

كل ذلك بثلاثة أمور:

وينهى عن الفحشاء: وهى كل عمل فاحش بذئ تشمئز منه النفوس الكريمة.

وثنى بالمنكر: وهو عمل أو قول قبيح تنكره الطبائع السليمة والشرائع الإلهية وهو يعم المعاصي والرذائل والدناءات.

وثلث بالنهي عن البغي. والبغي: تجاوز الحد، فيدخل فيه الكبر والغرور والبطر والظلم والحقد والتعدي على الحقوق. وفي الحديث الشريف:

(لا ذنب أسرع عقوبة من بغي)[1]

وفي حديث آخر:

(الباغي مصروع)[2]

وفي المأثور:

(لو بغى جبل على جبل لجعل الباغي منهما دكاً).

وفي آية كريمة يقول ﷻ:

(يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ أَوْ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا ...) سورة النساء/ ١٣٥.

والعدل في الإسلام لا يكون من الحاكم المسلم في حكمه

---

(١) تفسير القرطبي ١٦٧/١٠.
(٢) تفسير القرطبي ١٦٧/١٠.

بين المسلمين –وحدهم– بل امرنا الله أن نشمل بعدلنا الناس كلها حتى أعداءنا. وقد قال الإمام القرطبي في تفسير قوله تعالى:

(...وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى..) سورة المائدة /٨.

دلت الآية على إن كفر الكافر لا يمنع من العدل عليه... وان المثلة بهم غير جائزة –وان قتلوا نساءنا وأطفالنا وغموّنا بذلك– فليس لنا أن نقتلهم بمثلة قصداً لإيصال الغم والحزن إليهم...)[1].

أسألكم بالله! أين نجد هذا السمو والتسامي: في أي فلسفة أو فكر؟!!

(١) تفسير القرطبي ١١٠/٦.

العدالة أولاً

أحب أن نتحدث في رسول الله ﷺ وفي صحابته الكرام ومن تبعهم بإحسان، الذين أمرهم الله ﷻ بقوله الشريف:

(يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ أَوْ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا ...) سورة النساء/ ١٣٥

فكانوا –رسول الله ﷺ وهم– قوامين بالقسط شهداء لله، متبعين للحق، طارحين للهوى، لا يصدهم عن العدل ميل إلى قريب أو صديق، ولا يقدمون غنياً لغناه، ولا يؤخرون فقيراً لفقره، ولا يجورون على كافر معادٍ لهم ولدينهم بسبب كفره وعداوته، ولا يحول بينهم وبين إيصال الحق إلى صاحبه لوم لائم، أو تعنيف معنف، القوي فيهم ضعيف حتى يؤخذ الحق منه، والضعيف فيهم قوي حتى يؤخذ الحق له!

إنه الإسلام، يخلق به الله الناس خلقاً جديداً، لا مكان في قلوبهم لغلٍ أو حقد، ولا مجال في مجتمعهم لظلم ينزل بفقير أو ضعيف لا عصبة له، أو بكافر –على كفره– أو بغريب...!

فلا عجب إذا رأيت –أخي المسلم– نماذج للعدل في صدر الإسلام، وفي الفترات التي طبق فيها الإسلام فأحسن تطبيقه! نماذج ما عرف لها العالم مثيلاً.. إنها منتهى ما يطمح إليه الطامحون، ويحلم به الحالمون..!

وسأريكم –أيها الاخوة المؤمنون– شيئاً من هذه النماذج، ترون بها أن القرآن الكريم كان واقعاً حياً متمثلاً بهذا الجيل الفريد، وكيف أن القرآن الحكيم يرفع الإنسان إلى أعلى آفاق الانسانية، وغيره ينزل به إلى حضيض الحيوانية...!

إن صاحب الحق قد يهضم حقه، وقد لا يجرؤ على المطالبة بحقه، خشية أن يصيبه أذى يزعجه أو يقلقه، أو تنزل به مصيبة هي أكبر من هضم حقه، فيضطر إلى السكوت، وتلك علامة من علامات دمار المجتمعات. وهذا شيء واقع في كثير من المجتمعات، فما قول رسول الله ﷺ في هذا؟

اسمعوا!

(جاء أعرابي إلى النبي محمد ﷺ يتقاضاه ديناً كان عليه، فاشتد عليه حتى قال له: احرّج عليك ألا قضيتني! فانتهره أصحابه وقالوا ويحك تدري من تكلم؟!

قال: إني أطلب حقي.

فقال النبي ﷺ : (هلاّ مع صاحب الحق كنتم)؟

ثم أرسل إلى (خولة بنت قيس) فقال لها: (إن كان عندك تمر فأقرضينا حتى يأتينا تمر فنقضيك).

فقالت: نعم بأبي أنت وأمي يا رسول الله، فأقرضته فقضى الأعرابي وأطعمه، فقال الأعرابي:

أوفيت أوفى الله لك!

فقال صلوات ربي وسلامه عليه:

(أولئك خيار الناس، إنه لا قدّست أمة لا يأخذ الضعيف فيها حقّه غير متعتع))[1]

صلاة الله وسلامه عليك يا رسول الله! فالناس في شرعتك ينبغي أن يكونوا مع صاحب الحق ولو كان شديداً في مطالبته. والأمة في شرعتك لا يطهرها الله ولا يبارك فيها إذا كان ضعيفها لا ينال حقه إلا بأذى وإزعاج.

وقد أصبح مألوفاً في كثير من المجتمعات أن يكال لأقرباء الحاكمين بغير ما يكال لعامة الناس. وهذا في شرعة الإسلام منكر كبير، ونذير بهلاك الأمم، فقد أخرج البخاري عن عروة أن امرأة سرقت في عهد رسول الله ﷺ في غزوة (الفتح)، ففزع قومها إلى أسامة بن زيد يستشفعونه. قال عروة: فلما كلمه أسامة فيها تلون وجه رسول الله ﷺ وقال: (أتكلمني في حد من حدود الله)؟

فقال أسامة: استغفر لي يا رسول الله.

فلما كان العشي قام رسول الله ﷺ خطيباً فأثنى على الله بما هو أهله ثم قال:

(أما بعد، فإنما أهلك الناس أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد. والذي نفس محمد بيده، لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها).. ثم

(١) رواه أبن ماجه في كتاب الصدقات. أنظر سنن أبن ماجه ٨١٠/٢.

أمر رسول الله ﷺ بتلك المرأة فقطعت يدها، فحسنت توبتها بعد ذلك وتزوجت... قالت عائشة ﷺ : كانت تأتي بعد ذلك فأرفع حاجتها إلى رسول الله ﷺ.

وكما يكال في كثير من المجتمعات لأقرباء الحاكمين بما لا يكال لعامة الناس، يكال –كذلك– للحاكمين كيل خاص يتميزون به.

اسمعوا أيها –الأخوة المؤمنون – إلى هذه الحادثة، ثم تبيّنوا إلى أي أفق سام يرفع الإسلام الناس.

أخرج البيهقي عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن أبا بكر الصديق ﷺ قام يوم جمعة فقال: إذا كان الغداة فاحضروا صدقات الإبل نقسم على المسلمين، ولا يدخل علينا أحد إلا بأذن.

فقالت امرأة لزوجها: خذْ هذا الخطام لعل الله يرزقنا جملاً.

فأتى الرجل، فوجد أبا بكر وعمر قد دخلا إلى الإبل فدخل معهما. فالتفت أبو بكر فقال: ما أدخلك علينا؟ ثم أخذ منه الخطام فضربه. فلما فرغ أبو بكر من قسم الإبل دعا بالرجل فأعطاه الخطام وقال: استقد –أي اضربني كما ضربتك–.

فقال له عمر: والله لا يستقيد، لا تجعلها سنة!

فقال أبو بكر: فمن لي من الله يوم القيامة؟

فقال عمر: أرضه. فأمر أبو بكر غلامه أن يأتيه براحلة

ورحلها وقطيفة –أي كساء له خمل– وخمسة دنانير فأرضاه بها.

والحب والبغض وسواهما من العواطف ما يجوز أن تحول دون العدل. ألم يقل الله ﷻ:

(...وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى..) سورة المائدة /٨.

إن اليهود شرار خلق الله، وهم أشد الناس عداوة لنا –نحن المسلمين– لكن شدة عداوتهم لنا وشدة كرهنا لهم لا تحملنا على ظلمهم، ولا تمنعنا من العدل فيهم.

وهاكم هذه الحادثة الرائعة دليلاً على ما نقول:

كان رسول الله ﷺ قد وكل بتقدير حصة المسلمين في خيبر (عبد الله بن رواحة) ﷺ وكان أهلها يهود. وفي ذلك يروي البيهقي عن ابن عمر ﷺ حديثاً منه:

كان عبد الله بن رواحة ﷺ يأتيهم كلَّ عام فيخرصها عليهم – أي يخمنها– ثم يضمنهم الشطر. فشكوا إلى رسول الله ﷺ شدة خرصه وأرادوا أن يرشوه، فقال: يا أعداء الله، تطعموني السحت –الحرام– ؟ والله لقد جئتكم من عند أحب الناس إليَّ –يعني رسول الله ﷺ– ولأنتم أبغض إليَّ من القردة والخنازير، ولا يحملني بغضي إياكم وحبي إياه أن لا أعدل فيكم. فقالوا: بهذا قامت السموات والأرض!

إن البشرية كانت –ولا تزال كذلك – وستبقى بأمس الحاجة

إلى الإسلام، تتفيأ ظلال العدل تحت لوائه، وتنعم بالمساواة: فلا ظالم ولا مظلوم، ولا هاضم ولا مهضوم!

ومن العدل أن يسوّي الحاكم بين المتخاصمين في لحظه وإشارته ومجلسه، ولا يرفع صوته على أحدهما ما لم يرفع صوته على الآخر (حتى لا يطمع شريف في حيفه، ولا ييأس ضعيف من عدله)!

فعن الشعبي قال:

(كان بين عمر وأبي بن كعب ﷺ شئ. فقال عمر: اجعل بيني وبينك رجلاً، فجعل بينهما (زيد بن ثابت) ﷺ ، فأتياه فقال عمر:

أتيناك لتحكم بيننا، وفي بيته يؤتى الحكم.

فلما دخلا عليه وسّع له (زيد) عن صدر فراشه، فقال هاهنا يا أمير المؤمنين!

فقال له عمر: هذا أول جور جرت في حكمك، ولكن اجلس مع خصمي..

فجلسا بين يديه، فادعى أبيّ وأنكر عمر، فقال زيد لأبيّ: أعف أمير المؤمنين من اليمين وما لأسألها لأحد غيره! فحلف عمر، ثم أقسم لا يدرك (زيد) القضاء حتى يكون عمر ورجل من عرض المسلمين عنده سواء).

ألا ترون إلي القمة التي سما إليها القضاء الإسلامي؟! يقسم

عمر لا يدرك زيد القضاء حتى يكون عمر ورجل من عرض المسلمين عنده سواء!!

ومن عمر؟

إنه المبشر بالجنة!

إنه الملهم!

إنه الفاتح للإسلام أربعة آلاف مدينة!

إنه عمر بن الخطاب الذي يقول فيه الشاعر:

يا من رأى عمراً تكسوه بردته

والزيت آدم له، والكوخ مأواه

يهتز كسرى على كرسيه فرقاً

من بأسه، وملوك الروم تخشاه

ومما يلفت النظر قول سيدنا عمر: (وفي بيته يؤتى الحَكَم) ولو كان أحد الخصمين أمير المؤمنين عمر!

فأية أهمية يعطيها الإسلام للقضاء؟

وأية منزلة عالية يحتلها القاضي، بحيث يأتيه عمر في بيته؟

إني لأسأل، ولعل غيري يسأل، وحق لنا أن نسأل:

لماذا لا يعرض على أبنائنا وبناتنا في المدارس والكليات هذه النماذج ومثيلاتها من تاريخنا –وهى كثر– بدلاً من أن يظهر تاريخنا لأبنائنا وبناتنا مجموعة من الحروب والغزوات ليس إلا!!

إن الأمم التي ليس لها تاريخ تختلق لها تاريخاً، وتلفق لها

ماضياً، لترفع به رأسها بين الامم، فكيف ونحن لنا من تاريخنا – فضلاً عن ديننا– ما نباهي به الدنيا قاطبة!

كيف ونحن عندنا من المبادئ والقيم ما ستظل البشرية –في مسيرتها الطويلة– في أمس الحاجة إليه!!

إن الأفكار البشرية والشرائع الوضعية لا تغني –كلها– عن الإسلام، لكن الإسلام يغني عنها كلها!

فيا أمتنا ويا قومنا: (أجيبوا داعي الله)، وعودوا عودة سريعة إلى الإسلام فذلك أعزّ لكم وأكرم من استجداء النظم والأفكار من غرب أو شرق. وصدق الله العظيم إذ يخاطب الرسول الحبيب فيقول:

(ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنْ الأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ۞إِنَّهُمْ لَنْ يُغْنُوا عَنكَ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ) سورة الجاثية/١٨–١٩.

ونحن –يا أيها الاخوة المؤمنون– مخاطبون كذلك بما خوطب به الحبيب المصطفى صلوات الله وسلامه عليه، فهل أنتم سامعون؟!

رجـال المحـراب

ما من أمـة زخـر تاريخـها بعظمـاء الرجـال مثـل أمتنـا المسلمـة، والفضـل في ذلك للإسلام!

ومـا مـن أمـة كثـر فيهـا مـن تتعطـر البشـرية بـذكرهم، وكـانوا رحمـة لأنفسـهم ولغيـرهم مثـل أمتنـا المسـلمة، والفضـل فـي ذلـك للإسلام!

وما من أمـة الرجـال الذين اهتدوا فيها زادهم الله هدى وكـانوا قدوة لمن عاصرهم ولمن جاء بعدهم مثل امتنا المسلمة، والفضل في ذلك للإسلام!

ولا عجب! فالمدرسـة مدرسـة القرآن، والمربـي والأسوة والهـادي هو الله.

حدّث عمر بن الخطاب﵁ قال:

(دخلت على رسول الله ﷺ وهو على حصير. قال: فجلست، فإذا عليه إزاره وليس عليه غيره، وإذا الحصير قد أثر في جنبه، وإذا أنـا بقبضـة مـن شـعير نحـو الصـاع وقـرظ –وهـو ورق السّلم يدبغ به– في ناحية من الغرفة،وإذا أهاب معلق، فابتدرت عيناي، فقال:

ما يبكيك يا ابن الخطاب؟

فقلت: يا نبي الله، وما لـي لا أبكي وهذا الحصير قد أثر فـي جنبك، وهذه خزانتك لا أرى فيها إلا ما أرى، وذاك كسرى وقيصر

في الثمار والانهار، وأنت نبي الله وصفوته وهذه خزانتك؟!

قال: يا ابن الخطاب، أما ترضى أن تكون لنا الآخرة ولهم الدنيا؟).

بلى يا حبيب الله! كيف لا يرضى ابن الخطاب ما رضيته أنت لنفسك؟!

وماذا تنفع القياصرة والاكاسرة ثمارهم وأنهارهم وخزائنهم إذا عاشوا بالكفر وماتوا عليه؟!

ولا تعجب –أخي المسلم– إذا علمت أن أبا بكر لما مات ما ترك ديناراً ولا درهماً وكان قد أخذ قبل ذلك ما له فألقاه في بيت المال!

وكان عمر بن الخطاب ﷺ يعيش عيش الزهاد، ويلبس جبةٌ فيها اثنتا عشرة رقعة، وتمنى المهاجرون والأنصار لو يغّير هذه الجبة بثوب ليّن، يهاب فيه منظره، ويغدى عليه بجفنة من الطعام ويراح عليه بجفنة يأكله ومن حضره من المهاجرين والأنصار، فلم يجرأ أحد على مواجهته بذلك. فسألوا (عائشة) و (حفصة) ﷺ أن تكلماه وقد كانتا مجتمعتين. قالت عائشة: إني سائلة أمير المؤمنين ذلك. وقالت حفصة: ما أراه يفعل وسيبين لك ذلك. فدخلتا على أمير المؤمنين عمر،فقربهما وأدناهما، فقالت عائشة:

يا أمير المؤمنين،أتأذن أكلمك؟

قال: تكلمي يا أم المؤمنين.

قالت: إن رسول الله ﷺ مضى لسبيله إلى جنته ورضوانه، لم يرد الدنيا ولم ترده. وكذلك مضى أبو بكر ﷺ على أثره لسبيله بعد احياء سنن رسول الله ﷺ وقتل المكذبين،وادحض حجة المبطلين بعد عدله في الرعية، وقسمه بالسوية، وارضاء رب البرية، فقبضه الله إلى رحمته ورضوانه والحقه بنبيه ﷺ بالرفيق الاعلى، لم يرد الدنيا ولم ترده، وقد فتح الله على يديك كنوز كسرى وقيصر وديارهما، وحمل إليك أموالهما، ودانت لك أطراف المشرق والمغرب، ونرجو من الله المزيد، وفي الإسلام التأييد، ورسل العجم يأتونك ووفود العرب يردون عليك، وعليك هذه الجبة قد رقعتها أثنتي عشرة رقعة! فلو غيّرتها بثوب لين يهاب فيه منظرك، ويغدى عليك بجفنة من الطعام ويراح عليك بجفنة تأكل أنت ومن حضرك من المهاجرين والأنصار!

فبكى عمر عند ذلك بكاءاً شديداً ثم قال:

سألتك بالله، هل تعلمين أن رسول الله ﷺ شبع من خبز بر –حنطة– عشرة أيام أو خمسة أو ثلاثة، وجمع بين عشاء وغداء حتى لحق بالله؟

فقالت: لا

فأقبل على عائشة فقال: هل تعلمين أن رسول الله ﷺ قرّب إليه طعام على مائدة في ارتفاع شبر من الأرض؟ كان يأمر بالطعام فيوضع على الأرض ويأمر بالمائدة فترفع؟

قالتا: اللهم نعم.

قال لهما: -لعائشة وحفصة-: أنتما زوجتا رسول الله ﷺ وأمهات المؤمنين، ولكما على المؤمنين حق وعليَّ خاصة، ولكن أنتما ترغباني في الدنيا، وإني لأعلم أن رسول الله ﷺ لبس جبة من الصوف، فربما حك جلده من خشونتها أتعلمان ذلك؟

قالتا: نعم.

فقال: هل تعلمين أن رسول الله ﷺ كان يرقد على عباءة على طاقة واحدة، وكان مسح -كساء من شعر- في بيتك يا عائشة تكون بالنهار بساطاً وبالليل فراشاً، فندخل عليه، فنرى أثر الحصير على جنبه؟ ألا يا حفصة أنتِ حدثتني أنكِ ثنيت له ذات ليلة، فوجد لينها فرقد، فلم يستيقظ إلا بأذان بلال، فقال لك يا حفصة: ماذا صنعت؟

أثنيت المهاد ليلتي -جعلته طاقين- حتى ذهب بي النوم إلى الصباح؟ ما لي وللدنيا؟ ما لي شغلتموني بلين الفراش يا حفصة؟

أتعلمين أن رسول الله ﷺ كان مغفوراً له ما تقدم من ذنبه وما تأخر أمسى جائعاً، ورقد ساجداً، ولم يزل راكعاً وساجداً وباكياً ومتضرعاً في آناء الليل والنهار إلى أن قبضه الله برحمته ورضوانه؟ لا أكل عمر طيباً، ولا لبس ليّناً، فله أسوة بصاحبيه، ولا جمع بين ادمين إلا الملح والزيت، ولا أكل لحماً إلا في كل شهر!

فخرجتا، فخبرتا بذلك أصحاب رسول الله ﷺ فلم يزل كذلك حتى لحق بالله ﷻ.

رضي الله عنك يا عمر! لقد اقتديت برسول الله فأحسنت الاقتداء! ولو أنك -حاش لله-قد استعبدتك الدنيا، وأسرتك شهواتها، لما صرت فاروق الإسلام المبشّر بالجنة الذي نصبت للإسلام بضعة عشر ألف منبر!

وهذا عثمان ذو النورين كان عظيم الغنى، ولكنه كان يطعم الناس طعام الأمراء من ماله، أما هو فيعيش عيش الفقراء! فعن شرحبيل بن مسلم أن عثمان ﷺ كان يطعم الناس طعام الإمارة، ويدخل بيته فيأكل الزيت والخل!

وحدث ما شئت أن تحدث عن الإمام علي ﷺ ولا حرج!

لقد كان الصحابة رضوان الله عليهم همهم الآخرة، وما اتخذوا الدنيا إلا جسراً إلى الآخرة. وكان الواحد منهم إذا أغناه الله من فضله يغني إخوانه المسلمين مما أعطاه الله.

تقول زوجة (طلحة بن عبيد الله) المبشر بالجنة ﷺ:

دخلت يوماً على طلحة، فرأيت منه ثقلاً فقلت له:

مالك؟ لعلك رابك منا شيء فنعتبك أي نترضاك؟

قال: لا، ولنعم حليلة المرء المسلم أنت، ولكن اجتمع عندي مال ولا أدري كيف أصنع به؟

قلت: وما يغّمك منه؟ ادع قومك فاقسمه بينهم.

فقال: يا غلام، عليّ بقومي. فسألت الخازن: كم قسّم؟ قال: أربعمائة ألف.

إن الجيل الذي رباه محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه جيل أصبح همه الآخرة، ولم يعد له في غيرها همّة إلا إذا كان وسيلة إلى الآخرة تقربهم إلى الله.

وتفرع عن هذا الأصل سلوك لا مثيل له في أي جانب كان من جوانب الحياة... والحياة والمال هما الميزان الذي يمتحن به إيمان الإنسان بالمبدأ والعقيدة والتضحية التي نراها عند الصحابة –الجيل– الذي رباه رسول الله– بالنفس والمال ابتغاء وجه الله والدار الآخرة... تضحية لا مثيل لها في تاريخ العالم أبداً.

إليكم –اخوتي في الإسلام– حادثتين من آلاف الحوادث، بل من عشرات الألوف من الحوادث:

أخرج ابن سعد عن أم دّرة قالت: أتيت عائشة ﵂ بمائة ألف ففرقتها وهى يومئذ صائمة، فقلت لها: أما استطعت فيما أنفقت أن تشتري بدرهم لحماً تفطرين عليه؟

فقالت: لو كنت ذكرتني لفعلت!

أرأيتم كيف أن حب الإنفاق في سبيل الله وابتغاء مرضاته، أنساها ﵂ حاجتها إلى ما تفطر عليه ولو لحماً بدرهم!

(وكان عمرو بن الجموح أعرج شديد العرج، وكان له أربعة بنين شباب يغزون مع رسول الله إذا غزا. فلما توجّه إلى (أحد)

أراد أن يتوجه معه فقال له بنوه: إن الله قد جعل لك رخصة، فلو قعدت ونحن نكفيك، وقد وضع الله عنك الجهاد. فأتى عمرو بن الجموح رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، إن بني هؤلاء يمنعوني أن أخرج معك، ووالله إني لأرجو أن استشهد فأطأ بعرجتي هذه في الجنة. فقال له رسول الله ﷺ: أما أنت فقد وضع الله عنك الجهاد، وقال لبنيه: وما عليكم أن تدعوه، لعلّ الله ﷻ أن يرزقه الشهادة، فخرج مع رسول الله ﷺ فقتل يوم أحد شهيداً)[1].

ياالله لهذا الصحابي! يريد أن يستشهد فيطأ بعرجته الجنة!!

أية عظمة هي عظمة الإسلام التي جعلت من هؤلاء الصحب الكرام خلقاً آخر؟!

وبعد:

فقد أردت بما أوردته آنفاً أن أنبه الاخوة الذين يخشى أن تجرفهم المادية التي غزتنا فيما غزانا من قوى أوربية مادية ومعنوية، حتى رأينا أناساً ينتسبون إلى الإسلام هان عليهم ارتكاب المحرمات واقتراف الموبقات، وسلوك سبل الغش والخديعة والاحتيال وأكل أموال الناس بالباطل والاحتكار والربا – أعاذني وأعاذكم الله– تحقيقاً لمكسب مادي تافه تافه!

بل رأينا أفظع من ذلك، رأينا من يداهن في دينه وإيمانه، توهماً منه أن غير الله من الناس يملك أن يضره أو ينفعه، أو أن

(١) زاد المعاد لأبن قيم الجوزية ١٣٥/٣.

يضر وينفع من تربطه به صلة ما!

إنها الغفلة، وإنها حب الدنيا الزائلة، وإنهم: {يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلا} سورة الإنسان / ٢٧.

ما قيمة الدنيا حتى يعصى الله –أعوذ بالله– من أجل حطام زائل من حطامها؟

ماذا تبلغ الدنيا ومتاعها –وهو متاع الغرور– حتى نركض وراءها ولو فقدنا شيئاً من ديننا وإيماننا؟

إن الدنيا –كما يقول الرسول الكريم– لو كانت تساوي عند الله جناح بعوضة ما سقى منها كافراً شربة ماء!

إن قوم قارون لما خرج عليهم في زينته قالوا: (يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ) سورة القصص/ ٧٩.

(وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلا يُلَقَّاهَا إِلا الصَّابِرُونَ). سورة القصص /٨٠ .

بلى –يا شباب الإسلام– وأريدكم بكلامي وحدكم:

(ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلا يُلَقَّاهَا إِلا الصَّابِرُونَ). سورة القصص /٨٠.

يا أيها المسلمون: (مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنْ اتَّقَى وَلا تُظْلَمُونَ فَتِيلا). سورة النساء/٧٧.

ولقد كان من دعوات نبينا الكريم صلوات الله وسلامه عليه:

(لا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا).

فلا تجعلوا الدنيا أكبر همكم، بحيث تنسيكم ربكم ودينه وحقه عليكم! وما أحسن دعوة أحد العابدين:

(اللهم اجعل الدنيا في أيدينا ولا تجعلها في قلوبنا).

إن الخسران الكبير أن تلهي الإنسان دنياه عن ذكر الله وتنسيه حق الله وحق دينه عليه..

إن تحذيراً نزل به جبريل على قلب رسول الله ﷺ: (وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُوْلَئِكَ هُمْ الْفَاسِقُونَ) سورة الحشر/١٩.

ترى ماذا يبقى للإنسان إذا نسي نفسه وخسرها؟!

مدرسة الدعاة

يوم يتيسر للجوامع والمساجد من يحسن القيام عليها، ويجعل منها مراكز إشعاع لثقافة الإسلام وآدابه وتعاليمه، ومنطلق خير إلى الحياة، ومحضن تربية وتوجيه للصبيان والشباب، تعيد هذه الأمة سيرتها الاولى، ونطلع على الدنيا من جديد (خير أمة أخرجت للناس).

نبني كما كانت أوائلنا

تبني ونفعل مثل ما فعلوا

ولقد أخذ بلبي وراعني، كما يأخذ بلب كل إنسان ويروعه، نهوض المسجد بالمسلمين الاوائل، واخراجهم كالشمس للدنيا والعافية للناس، مصوغين صياغة جديدة، بينهم وبين ما كانوا عليه في جاهليتهم بعد المشرقين. لقد كانوا في جاهليتهم كما قال شاعرهم:

واحياناً على بكر أخينا

إذا ما لم نجد إلا أخانا

فرفعهم الرسول الكريم من هذا السفح الهابط إلى قمة سامقة شامخة، إذ قال لهم من لا ينطق عن الهوى:

(لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه)، رواه الإمام احمد والبخاري ومسلم والترمذي والنسائي وابن ماجه.

فأين ذلك الهبوط من هذا السمو؟!

أما هذا الذي أخذ بلبي وراعني وأردت ذكره، – وما أكثر ما يروع من ديننا ويعجب – ما حدث من أمر سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ، حين ولاه الصديق ﷺ قضاء المدينة. ومكث سيدنا عمر سنة كاملة لم يختصم فيها اثنان، فجاء إلى الصديق الأكبر معتذراً عن متابعة العمل، موضحاً حقيقة المجتمع الذي رباه المسجد وصقله المحراب قائلاً له:

(لا حاجة بي عند قوم مؤمنين دينهم النصيحة. خلقهم القرآن. عملهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. لا حاجة بي عند قوم مؤمنين. عرف كل منهم حدّه فوقف عنده. إذا مرض أحدهم عادوه، وإذا افتقر أعانوه، وإذا احتاج ساعدوه، ففيم يختصمون يا خليفة رسول الله)[1]؟!

لقد حلم (أفلاطون) في جمهوريته، وأطلق الفلاسفة لخيالهم العنان في تصور المجتمع الفاضل، لكنهم ما بلغوا في تصورهم وخيالهم ومثاليتهم ما حققه الإسلام في عالم الواقع!!

أنعموا النظر ثانية في قول سيدنا عمر: (لا حاجة بي عند قوم مؤمنين ...) ثم انظروا إلى واقع الناس اليوم في الشرق والغرب، في الدولتين الكبريين تجدوا من فظاعة الجرائم وكثرتها وازديادها يوماً بعد يوم، وتفكك بالمجتمعات ما يهول ويذهل ... ثم ارجعوا النظر إلى واقعنا في هذا البلد المسلم، ووازنوا بين

(١) بحوث مؤتمر رسالة المسجد ص٢٢.

حالتين: حالة الناس في الحرب العراقية البريطانية التي اصطلح الناس على تسميتها (حرب رشيد عالي الكيلاني) وحالة الناس في وقتنا الحاضر. إن مراكز الشرطة في كل أنحاء العراق أيام (حرب رشيد عالي الكيلاني) لم تسجّل ولو جريمة واحدة كما يؤكد الأستاذ عبد الرزاق الحسني في كتابه (أسرار الحرب العراقية البريطانية).

أما الآن، فقد ازدادت الجرائم مع ارتفاع مستوى المعيشة اليوم بالقياس إلى ما كان أيام الحرب العراقية البريطانية.

إنه الدين وبقاياه في النفوس آنذاك، وهو أحد الأسباب المهمة فيما رأيناه! وضعف الوازع الديني سبب ما نراه اليوم ونعانيه. لقد ارتفع مستوى المعيشة، وازدادت الثقافة ، وانتشرت المدارس ووصلت إلى أقصى القرى فما حصدنا؟

لقد استعمرنا الغرب استعمارين: استعمار الديار واحتلال الأوطان واستغلال الخيرات، وهو الاستعمار الأصغر. واستعمار الأفكار والعقول والقلوب، وهو الاستعمار الأكبر.

لقد وقعنا في أكثر ديارنا صرعى الاستعمارين، فنفضنا عنا غبار الاستعمار الأصغر وجلت جيوش الغرب الفاجر عن كثير من ديارنا التي شقيت بها، ولكنا ظللنا صرعى الاستعمار الأكبر: استعمار الفكر والعقل والقلب، وآية ذلك عدة أمور:

أحدها: أن الكثير من شبابنا وشاباتنا، فضلاً عن الكهول

والشيوخ يعتبرون الغرب هو المثل الأعلى في الفكر والسلوك والخلق. فترى التقليد للغربيين في كل شئ، بل انهم في تقليد الغرب في مباذله وقبائحه أسرع منهم في تقليده فيما سوى ذلك!

ثانيها: انهم حكموا على دينهم –وهم اجهل الناس به– بما حكم به الأوربيون على دينهم: طبيعته وتاريخه! قال أولئك: الدين والعلم لا يلتقيان، فافتعل هؤلاء العبيد للغرب خصومة بين الإسلام والعلم تأباها طبيعته وينفيها تاريخه! وحسبي أن أذكر أن الإمام الغزالي الذي عاش قبل أكثر من تسعمائة سنة قال بكروية الأرض، فما اتهمه أحد بكفر، ولا رماه بزندقة. واسألوا التاريخ عما لقيه (كوبرنيكوس) البولندي قبل حوالي مائتي سنة لما قال بكروية الأرض!!

ثالثها: أن الفرنسيين والأوربيين ثاروا على الكنيسة والدين الذي وقف في طريق التقدم العلمي، وجردوا الكنيسة من كثير مما كانت تمارسه وتزاوله: من مثل الإشراف على التعليم، وإنشاء المدارس، وتوجيه السياسة، والتحكم في حياة الناس وعقولهم، فعل أولئك العبيد للغرب ما قرؤوه عن الكنيسة، وجردوا المسجد من كل مهامه، وأبقوه مقتصراً على أداء الصلوات فقط.

لقد استعادت الكنيسة في كثير من أقطار الغرب بعض نفوذها السابق، على الرغم مما ينص عليه الإنجيل: (دع ما لقيصر لقيصر وما لله لله).

ويجرد المسجد من مهامه، ويعزل عن الحياة، مع أن وظيفة المسجد نابعة من (أن الإسلام لا ينظر للدنيا نظرة منفصلة عن الدين، ولكن يعتبرها كوجهين لعملة واحدة: فشؤون الدنيا ينبغي أن تكون خاضعة لحكم الدين، والدنيا جسر إلى الآخرة)[1].

وقد تبع ذلك ما تبعه من فصل تام بين الإسلام والحياة! واتخذت نظم مستقاة من الشرق والغرب في مجال السياسة والاقتصاد والقضاء والتعليم والجندية! وقُسِرَ الإسلام ممثلاً فيمن سموا برجال الدين –وما في الإسلام رجال دين– قُسِرَ الإسلام على إن يكون الخادم للنظم المفروضة على المسلمين في أسيا وأفريقيا، يدعمها ويبرر وجودها وفرضها، ومحظور عليه أن يعترض أو يبدي رأياً مخالفاً، أو يرد هجمة عليه أو شبهة تثار حوله أو اتهاماً يوجّه إليه، بل إن رعاة هذه النظم وفارضيها يمنّون على الإسلام أن أبقوه! مع أنهم ما أبقوا إلا إسلاماً مشلولاً كسيحاً، مجرداً من أسباب الحياة أن صح التعبير!!!

إننا اليوم في أمس الحاجة إلى المسجد الذي يعد المسلم الصالح، والداعية الغيور.

إننا بحاجة إلى الذي يصلح بالإسلام ما أفسده الغرب وعبيده في ديار العرب والمسلمين.

(إننا بحاجة إلى دعاة تأخذ منهم الدعوة صدق المقال

(١) بحوث مؤتمر رسالة المسجد ص ٥١.

والحال. وأذكر على سبيل المثال ما أورده المؤرخ (توينبي) في كتابه (تاريخ الدعوة الإسلامية) حين يذكر لنا كيف أن الداعية المؤمن (رشيد الدين) أسلم على يده أحد ملوك وأباطرة التتر وجميع وزرائه ورجال جيشه، قادة وجنوداً... وكيف أن أسيراً مسلماً وهو في سجنه أسلم على يده أثنا عشر ألفاً من البلغار. وكيف أن داعية إلى الله في (الكونغو البلجيكي) حكمت عليه السلطات بالإعدام للتخلص منه، وعندما دعي الراهب ليقوم ببعض المراسيم المعتادة قبل الإعدام إذا بالداعي في ساحة الإعدام يدعو الراهب إلى الدخول في الاسلام، من غير أن يرعبه الموت، أو تشغله المشنقة عن أداء واجب الدعوة)[1].

وإذا كنا نريد للمسجد أن يعود فيؤدي دوره، فإن هذا لا يكون إلا إذا تهيأ العلماء العاملون: (الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إلا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا) سورة الأحزاب /٣٩.

يبتغون رضا الله وان سخط الناس، يخشون الله في الناس ولا يخشون الناس في الله، يحرصون على التعلم والتعليم، وعلى لسان كل منهم (وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا) سورة طه/١١٤.

وإن كان لي أن آسف على شئ، فإنما آسف على خلو بيوت الله من العلماء وطلبة العلم!

---

(١) بحوث مؤتمر رسالة المسجد ص٢٥.

لقد كانت جوامعنا منتدى للعلماء، ومقصداً لطلبة العلم من أقطار قريبة وبعيدة فأين هي الآن؟!

مدارس آيات خلت من تلاوة

وموئل علم مقفر العرصات

والله يقول الحق وهو يهدي السبيل!

من وحي المساجد

قال الله تعالى:

(فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ۞رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ۞لِيَجْزِيَهُمْ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ) سورة النور /٣٦-٣٨.

هذه آيات كريمات نتلوها، مستحضرين في أذهاننا أن أول ما فعله رسولنا الكريم صلوات الله وسلامه عليه يوم هاجر هجرته المباركة إلى المدينة المنورة، هو بناء جامعه الشريف.

إني لأربط بين عهدين، عهد مضى على هذه المدينة المسلمة كان الناس يتسابقون إلى التقرب إلى الله ببناء المساجد والجوامع، حتى اننا نرى في كثير من محلات هذه المدينة المؤمنة -مدينة الموصل- مساجد وجوامع لا يفصل بين بعضها والبعض الآخر إلا عشرات الأمتار أو أقل! واليوم -ولله الحمد- نجد إقبال الطيبين من أبناء هذه البلدة الطيبة على بناء بيوت الله! إنها لشمس من الآمال والبشريات تبدّد ظلام اليأس الذي قد يتسرب إلى بعض النفوس من عودة لمجد الإسلام وصحوة لأبنائه من نوم فيه يغطون...!

إن من الأوربيين اليوم من أخذ ينذر قومه من عودة للإسلام

يدق فيه أبواب (فرنسا)، بعد أن فتح المسلمون (بلاد الأندلس) واجتاحت قوى الإسلام بلاد (البلقان)، واستولت على (القسطنطينية) كما بشرّ بذلك رسول الله ﷺ ، ووصلت جيوش الإسلام إلى أسوار (فينا). فهذا (مورو بيرجر) يقول في كتابه (العالم العربي المعاصر):

(إن الخوف من العرب واهتمامنا بالأمة العربية ليس ناتجاً عن وجود البترول بغزارة عند العرب، بل بسبب الإسلام)[١] .

ويقول بعد ذلك:

(يجب محاربة الإسلام للحيلولة دون وحدة العرب التي تؤدي إلى قوة العرب، لأنّ قوة العرب تتصاحب دائماً مع قوة الإسلام وعزته وانتشاره.إن الإسلام يفزعنا عندما نراه ينشر بيسر في القارة الأفريقية)[٢].

اخوتي في الله:

المساجد مقدّمة على دورنا التي نأوى إليها إذا كنا متحلين بالتقوى. فالمسجد بيت كل تقي، وما تجد النفس المؤمنة الصافية روحها وراحتها إلا في بيوت الله، وما تتبدد عنها وحشة الغربة – والمسلم غريب– ولا يذهب عن المؤمن ما يرهقه من قسوة العيش

(١) قادة الغرب يقولون: دمروا الإسلام أبيدوا أهله للأستاذ جلال العالم ص ٤٢ الطبعة الثانية ١٣٩٥هـ.

(٢) قادة الغرب يقولون: دمروا الإسلام أبيدوا أهله للأستاذ جلال العالم ص ٤٢ الطبعة الثانية ١٣٩٥هـ.

وشدة المؤونة، وضيق السجن –والدنيا سجن المؤمن– إلا في بيوت الله! وحسب المؤمن المتعلق قلبه بالمساجد أن يظله الله في ظله يوم لا ظلّ إلا ظله!

على اننا نتطلع إلى اليوم الذي يعود فيه للمسجد دوره في الحياة، إذ كان في عهد رسول الله ﷺ وما بعده كلّ شئ في حياة المسلمين: فيه تجيّش الجيوش، وتعقد لقادتها الرايات، وفيه يبايع الخلفاء، وفيه تعقد حلقات الدرس والعلم بشتى فروعه وجوانبه. ومن يلق نظرة على فهارس المكتبات التي كانت ملحقة بالجوامع، يجد فيها كتب الطب والهندسة والحساب والجبر والكيمياء والفلك إلى جانب كتب التفسير والحديث. حتى إذا ركعت أمتنا على أقدام الغزاة من الأوربيين الذين غزونا بأفكارهم وانحلالهم وعلمانيتهم، كما غزونا بجيوشهم وأساطيلهم، جردّوا المسجد من مهمته، وجعلوه مقتصراً على أداء الصلوات فيه، ونادوا فينا بعزل المسجد عن الحياة، وبفصل الدين عن الدولة، وهم يعلمون أن لا بقاء لحيوية الاسلام، ولا تأثير له في واقع الحياة إذا أخذ ببعضه دون بعض. كما أن الإنسان لا يكون سوياً إذا تنفس برئة واحدة، ونظر بعين واحدة، ووقف على رجل واحدة، واستخدم يداً واحدة..! وعلى الأمة التي طردت الجيوش الغازية التي دنّست أرضها واستعمرت ديارها ردحاً من الزمن أن تقذف بأفكار الغرب وعلمانيته وانحلاله الخلقي –أن تقذف كل ذلك في أدبار جنوده

التي غربت عن ديارنا.

إن دور المساجد وهيمنته على الحياة مهمة لا تقل عن سواها من المهمات التي يتطلبها نهوضنا وتطلعنا إلى حياة حرّة فضلى، بل ان مهمة المسجد تفوق سواها من المهمات.

لقد كان المسلمون كلّما حزبهم أمر –أيا كان ذلك الأمر– أمر الرسول ﷺ إن ينادى: الصلاة جامعة، وكذلك كان يفعل الخلفاء من بعده.

إن رسولنا الكريم ﷺ لما هاجر هجرته الكريمة إلى المدينة المنوّرة لم يهتم أول ما اهتم إلا ببناء المسجد، وما أحسن الدنيا إذا اهتدت بالإسلام واختطت السبيل الذي أراده الله ﷻ لنا، ولأمر ما كان أعداؤنا في القديم وفي الحديث لا يجدون مظهراً لإذلالنا – أذلهم الله– إلا بتدنيس مساجدنا وتخريبها.

إن اليهود قد وضعوا نصب أعينهم أن يهدموا المسجد الأقصى –وهم جادون فيما انتووه– ولما دخلوا مدينة (القنطرة شرق) في الزاوية العليا اليسرى من شبه جزيرة سيناء، عبّروا عن حقدهم بنصب أعلامهم على مكبرات الصوت على منارة المسجد، وأظهروا ذلك على شاشات التلفزيون في أمريكا وفي غيرها، على ما حكى لنا بعض أبنائنا ممن كانوا يدرسون في أمريكا أيام حرب حزيران. وما يمضى شهر إلاّ تحمل إلينا الأنباء تعدياتهم على أوقاف المسلمين، وتجاوزاتهم على بيوت الله!

ومن قبلهم كان (الصليبيون) يوم اجتاحوا اكثر بلاد الشام وفلسطين، دنّسوا المساجد وخربوها..

إن عمارة المسجد عمارتان، عمارة بالتشييد والبناء، وعمارة بكثرة التردد إليه والمكث فيه واداء الصلوات وذكر الله.

وإن فات بعضنا أن يعمر المسجد بالتشييد والبناء فلن يفوته أن يؤدي الصلوات فيه، وأن يمكث فيه ما استطاع المكث، وأن لا يخرج منه إلا وهو ناوٍ أن يعود إليه.

إني لآمل أن يوفق الله أهل هذه المدينة المسلمة إلى بناء المزيد من بيوت الله ﷻ لعلّ نفحة من نفحات الله،وقبساً من نور محمد ﷺ يرفع عن أبصارنا الغشاوة، ويزيدنا إيماناً على إيمان، حتى نخرج، من محنتنا القاسية سالمين قد رضي الله عنا! والله يقول الحق وهو يهدي السبيل هو نعم المولى ونعم النصير!!

من صور المساواة

إن البشرية في خط سيرها الطويل كانت –ولا تزال كذلك– تتشد في مقدمة ما تنشد المساواة التي فطر الله الناس على التطلّع إليها وحب العيش في ظلالها، والتمتع بطيب آثارها. والمطلّع على التاريخ قديمه وحديثه يجد أن كثيراً من الثورات شبت، وانهاراً من الدماء سفكت وعديداً من العروش ثلت وكثيراً من الدول قوّضت بسبب غياب العدل والمساواة.

والمساواة في الإسلام –أيها الاخوة الأحبة– في مجالاتها العديدة وأنواعها وفروعها تقوم على أساس راسخ متين، على العقيدة الإسلامية التي تفهمنا أن الرب الواحد والأب الواحد ، وأننا –كلنا– من التراب والى التراب. فها هو ذا الرسول الكريم ﷺ يرفع صوته بصيحة مدوية في أعظم مجتمع ضمّ أكبر عدد من أبناء البشرية المستظلين بلواء الإيمان في وحدة العقيدة الإسلامية في حجة الوداع.

(أيها الناس، إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، كلكم لآدم وآدم من تراب، أكرمكم عند الله أتقاكم. وليس لعربي على أعجمي فضل إلا بالتقوى)[1].

ويخاطب الرسول الكريم ﷺ المجتمع الذي نشأ فيه وقد كان

(١) مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة ص ٣٠٨-٣٠٩ جمعها الدكتور محمد حميد الله. الطبعة الثالثة ١٣٨٩. دار الإرشاد بيروت.

قائماً على أكثر من اعتبار في التفرقة بين الناس، وإنزالهم منازل لا تتفق و (إنسانيتهم) فيقول ﷺ:

(أيها الناس، إن الله قد أذهب عنكم عبيّة الجاهلية وتعاظمها بآبائها فالناس رجلان، رجل برّ تقيّ كريم على الله، وفاجر شقي هيّن على الله، والناس بنو آدم، وخلق الله آدم من تراب) رواه الترمذي.

هكذا الناس في ميزان الاسلام، رجل برّ تقي كريم على الله، وفاجر شقيّ هيّن على الله، من غير أن يرجح كفة واحد على آخر في ميزان الإسلام لون أو دم أو مال أو قرابة أو منصب أو اتباع وأنصار.

إنها التقوى والعمل الصالح، ترتفع بهما درجة العبد عند الله أو تنخفض بمقدار حظ الإنسان منها. يقول الرسول الكريم ﷺ :

(إنّ آل أبي ليسوا لي بأولياء، إنما وليي الله وصالح المؤمنين) رواه مسلم.

هل وعت ذاكرتك –أيها التاريخ– قواعد ومبادئ في المساواة كهذه القواعد والمبادئ؟

متى يكون لك لسان –أيها التاريخ– حتى تقول لمن عميت أبصارهم، وغشى على بصائرهم أن الغربيين –الرأسماليين والشيوعيين– سيظلون يركضون، فلا يدركون في ميزان النظريات والتطبيق في عالم الواقع غبار الحضارة التي أرسى

قواعدها الإسلام، وأقام صروحها نبيه محمدﷺ والصحابة من بعدهم رضوان الله عليهم!

إن الرسول الكريم ﷺ لم يكتف بتبليغ الناس القيم الإسلامية التي منّ الله بها ﷻ على الناس، وإنما تعقّب رواسب الجاهلية من تفريق وتمايز ظالمين قائمين على اللون والجنس والنسب والمال، فنسفها نسفاً حتى لا يبقى منها ما يكدر صفو الإخاء والمساواة. فهذا ثابت بن قيس ﷺ جاء إلى مجلس رسول الله ﷺ –وكان في أذنه وقر– فلم يجد مجلساً يسمع منه فقال لرجل: تفسّح.

فقال له: قد وجدت مجلساً فاجلس.

فغضب ثابت وقال: من هذا؟

قالوا: فلان.

فقال: أبن فلانة؟ –يعيره بأم له في الجاهلية–

فقال النبي ﷺ: (من الذاكر فلانة)؟

فقال ثابت: أنا يا رسول الله.

فقال النبي ﷺ : (أنظر في وجوه القوم)

فنظر، فقال: ما رأيت؟

قال: رأيت أبيض وأسود وأحمر.

فقال ﷺ: (فإنك لا تفضلهم إلا بالتقوى).

وثبت في السيرة النبوية أنه لما كان (فتح مكة)، أمر النبي ﷺ بلالاً حتى علا ظهر الكعبة فأذن، فقال جماعة من رؤوس

قريش كلاماً ينتقصون فيه بلالاً. فأتى جبريل عليه السلام فأخبره بما قالوا، فدعاهم وسألهم فأقروا، فأنزل الله قوله تعالى:

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَومٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا منهم ..) سورة الحجرات /.١١.

وقد مزج الإسلام مجتمعه بالمصاهرة مزجاً أذهب به الفوارق الطارئة على الإنسانية ولم يبق إلا على ميزة العمل الصالح يقوم به المسلم، فيسدي به إلى المجتمع خيراً وبراً وإصلاحاً، وجعل هذه الميزة هي مناط التفاضل والكفاءة في الأنساب والمصاهرة فقد تبنى (أبو حنيفة) وهو من غطارفة قريش مولاه، وزوجه ابنة أخيه الوليد، وتزوج المقداد بن الأسود ضباعة بنت الزبير، وتزوج بلال أخت عبد الرحمن بن عوف، وزوج النبي ﷺ مولاه زيد بن حارثة زينب وهى ابنة عمة رسول الله ﷺ، ثم تزوجها النبي ﷺ بعد أن طلقها زيد، ليكون ذلك أساساً لتشريع المساواة في أعلى ذروتها وأفضل صورها، وليقتلع به جذور الجاهلية من أصلها.

(وهكذا جعل نبي الإسلام محمد ﷺ نفسه الكريمة وأهل بيته وأقرب الناس إليه مثلاً لتطبيق دعامة المساواة الإنسانية التي نادى بها الإسلام في دستوره الأعظم: القرآن الكريم، تطبيقاً عملياً أقامه على وحدة الإخاء الإنساني بين الناس جميعاً وأبان عن معقد الفضل بالعمل الصالح ليتنافس فيه المتنافسون).

وعلى السنة الإسلامية الحميدة في سياسة الإسلام وسماحته

البالغة حد الروعة والإعجاب جرى الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز، فقد جاء في كتابه إلى عامله على البصرة:

(وانظر من قبلك من أهل الذمة من كبرت سنه، وضعفت قوته، وولت عنه المكاسب، فأجرِ عليه من بيت مال المسلمين ما يصلحه ... وذلك أنه بلغني أن أمير المؤمنين عمر مر بشيخ من أهل الذمة يسأل على أبواب الناس، فقال: ما أنصفناك، ان كنا أخذنا منك الجزية في شبيبتك، ثم ضيعناك في كبرك! ثم أجرى عليه من بيت المال ما يصلحه).

هذا لون من ألوان المساواة والعدالة لا تعرفه الحياة في غير الإسلام، لأنه قائم على احترام الإنسانية ومعرفة حقوقها، ومساواة الناس كافة في هذه الحقوق، حقوق العيش الكريم، وعدم التعرض للمهانة والذلة، لا فرق في ذلك بين إنسان وإنسان.

ومما يبلغ في السمو أعلى درجاته، وفي الروعة منتهاها، وفي المواساة والمساواة غاياتها، مساواة الحاكم نفسه مع رعيته، وهاكم مثلين لم يعرفهما غير تاريخ الإسلام:

أتي عمر بن الخطاب ﷺ بخبز مفتوت بسمن عام الرمادة – عام المجاعة– فدعا رجلاً بدوياً يأكل معه فجعل البدوي يتبع باللقمة الودك –وهو الدسم– في جانب الصحفة، فقال له عمر: كأنك مقفر من الودك؟ فقال: أجل، ما أكلت سمناً ولا زيتاً ولا

رأيت آكلاً له منذ كذا وكذا إلى اليوم! فحلف عمر لا يذوق لحماً ولا سمناً حتى يحيا الناس، وامتنع عن أكل كل شيء سوى الخبز والزيت، حتى أغاث الله الناس بالخصب.

وفي حادثة أخرى امتنع عن أكل السمن وأكل كما يأكل فقراء المسلمين، وقال قولته الخالدة التي يجدر بكل حاكم على سطح الأرض أن يجعلها دستوره في حكمه، قال:

كيف يعنيني شأن الرعية إذا لم يصبني ما أصابهم؟!

وإلى المفتونين بالغرب وديمقراطيته، وللمضللين بروسيا واشتراكيتها نسوق الحادثة الآتية:

جاءت عمر بن الخطاب برود من اليمن[1]، ففرقها على الناس برداً برداً، ثم صعد المنبر وعليه حلّة منها (أي بردان اثنان، إذ كان ﷺ ضخماً طويلاً لا يكفيه برد واحد) صعد المنبر فقال: اسمعوا رحمكم الله!

فقام إليه سلمان فقال: والله لا نسمع والله لا نسمع.

فقال: ولم يا أبا عبد الله؟

فقال: يا عمر، تفضلت علينا بالدنيا، فرّقت علينا برداً برداً وخرجت تخطب في حلة منها؟

فماذا كان من عمر وهو يجابه هذه المجابهة في مسجد رسول الله ﷺ الغاص بالناس؟

---

(١) البرود: أكسية سود مربعة تلبسها الاعراب.

اسمعوا ماذا فعل عمر وماذا قال.

قال سيدنا عمر: أين عبد الله بن عمر؟

فقال: ها أنذا يا أمير المؤمنين.

قال: لمن أحد هذين البردين اللذين عليّ؟

قال: لي.

فقال لسلمان: عجلت عليّ يا أبا عبد الله، إني كنت غسلت ثوبي الخلق –البالي– فاستعرت ثوب عبد الله.

قال سلمان: أما الآن فقل نسمع ونطع!

أولئك آبائي فجئني بمثلهم

إذا جمعتنا يا أخي المجامع

رباه! من هؤلاء؟

ملائكة؟

أشهد الله أنهم أعظم من الملائكة وأرفع!

أنبياء؟

اللهم لولا أنك ختمت النبوة بمحمد ﷺ لظننا أنهم أنبياء!

إنها عظمة تدهش العقول، وتحير الألباب!

عمر الذي جمع المجد من أطرافه، وهزمت جيوشه جيوش أعظم دولتين، لا يرى نفسه مستحقاً لكساء ثانٍ كي يكفيه لضخامته وطوله! والمسلمون يرون أن الحاكم –ولو كان عمر– لا يجوز له أن يتفضّل على عامة المسلمين، بحيث يأخذ لنفسه

بردين وقد أعطاهم برداً برداً!!

ويقف سلمان يحاسب رأس الدولة الأعلى على مسمع ومرأى من المسلمين، بعد أن ظنَّ أن عمر أخذ لنفسه بردين ويقول: والله لا نسمع، والله لا نسمع! فلا يغضب عمر وهو الجبار في الجاهلية، بل يقول بلطف وهدوء: عجلت عليّ يا أبا عبد الله، إني كنت غسلت ثوبي الخلق –البالي– فاستعرت ثوب عبد الله!! فيقول: أما الآن، فقل نسمع ونطع!!

رضي الله عنك يا أبا حفص! أفكان كثيراً عليك أن تتخذ لنفسك ثياباً كما يتخذ لنفسه أوسط الناس؟!

ورضي الله عن المسلمين، إذ ما كانوا يرون الخليفة إلا أن يساويهم، ويأخذ كما يأخذ أدناهم!

يا أمة محمد، كيف كنت، وكيف وإلى أين صرت؟!

الله أكبر! الله أكبر!

أيحلم الفلاسفة والمفكرون ويتصورن مهما توسعت آفاق خيالهم بهذا الذي كان يوم حكم الإسلام؟

إلينا إلينا يا دعاة حقوق الإنسان، ففي إسلامنا ما ليس في غيره!

إلينا إلينا يا أيتها الشعوب المستضعفة، ففي إسلامنا ما يرفع عنك الظلم، ويمتعك بالعيش العزيز الكريم!

إلى دينكم إلى دينكم أيها المفتونون برأسمالية الغرب وغيرها،

فكفاكم ما تشحذون بذلة مبادئ وأفكاراً لا تستحق أن نقارن بينها وبين الإسلام، بل من الظلم أن نقارن بينها وبينه كما يظلم السيف البتار من يقارنه بالعصا!

وجاءت الذكرى

في ذكرى الجلال والبهاء، والطهر والنقاء، وفي سماء العظمة التي أعدّت محمداً إعداداً جعلته يحوي الكمالات من اطرافها، وبرأته من كل نقص وشين.. في هذا الرحاب الذي ما عرفت البشرية له مثيلاً أو شبيهاً أو نظيراً، يطيب للشاعر أن يشدو بقصائده، والخطيب أن يلقي برائع كلماته، والكاتب أن يغترف من تلك العظمة غرفات .. ومهما أنشد الشعراء، وأبدع الخطباء، وأجاد الكاتبون، ووصف الواصفون، فلم ولن يستطيعوا أن يوفوا هذا الرسول حقه من كريم الأخلاق وعظيم الخصال، وما أروع ما خاطب به الصحابي الجليل (حسان بن ثابت) رسول الله ﷺ فقال:

وأحسن منك لم ترَ قطّ عيني

وأجمل منك لم تلد النساء

خلقت مبرّءاً من كل عيب

كأنك قد خلقت كما تشاء

ويحلو لنا أن نردد في هذه المناسبة –مناسبة ذكرى مولد رسول الله ﷺ– ما قاله الشاعر من قبل في سيدنا رسول الله ﷺ:

قضى الله للعلياء أن تتجسدا

وقال لها كوني فكانت محمدا

وأين يكون ثناؤنا على رسول الله أمام ثناء رب العالمين عليه حين قال له:

(وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ) سورة القلم /٤.

أرى كلّ مدح في النبيّ مقصراً

وإن بالغ المثني عليه وأكثرا

إذا الله أثنى بالذي أنت أهله

عليه، فما مقدار ما يصنع الورى؟

لكنها المناسبة العطرة، نهتبلها لنذكّر بها هذه الأمة بما ينفعها في دينها ودنياها، وكم نحن بحاجة ملحة ملحفة الى الكلمة الإسلامية الصادقة التي تنير لنا الدرب، وتضيء لنا الطريق، كلّما تراخت العزائم، وضعفت الهمم، وأظلم الطريق واسودت الدنيا، وادلهم السبيل، واختلط الحابل بالنابل .. هناك يتقدم الحلّ الإسلامي، ليقدّم مصباحه الأنور الذي يضئ الطريق، فتنجلي – عند ذاك– كل فتنة ظلماء!

وأول ما نحب أن نقف أمامه: هو الواجب العظيم الذي كلف الله به كل مسلم في هذا الوجود، وهو الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة.

ونقصد بالدعوة إلى الله، إخراج الناس من ظلمات الجاهلية، وفوضى النظم والتشريعات إلى نور الهداية والإيمان، واتباع النهج الإسلامي دون غيره.

ولقد قام رسول الله ﷺ بهذه المهمة، فنجح نجاحاً ما نجح مثله نبي من الأنبياء ولا مصلح من المصلحين .. وانقادت الناس لهذا الصوت الإسلامي، ودخلوا في دين الله أفواجاً .. وظلت البشرية ترتشف من هذا المنهل العذب والماء الزلال فترة ليست بالقصيرة من الزمن .. حتى إذا انحرف المسلمون بعض الانحراف عن تعاليم رسالة الإسلام، وخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات، فصارت الدنيا كل همهم ومبلغ علمهم .. في هذا الوقت استيقظ أعداء الإسلام وأخذوا اهبتهم لغزو العالم الإسلامي غزواً فكرياً وعسكرياً في الوقت نفسه، فأسسوا جامعتهم التي ركزت على تشويه الإسلام من كل جانب، متخذين شتى الأساليب للوصول إلى هذه الغاية. وما من نظام من الأنظمة إلا له وسائله لنشر أفكاره، وإقناع الناس بصلاحيته وأهميته، شرقياً كان ذلك النظام أم غربياً. فالشيوعية –مثلاً– تملك وحدها أكثر من سبعة آلاف صحيفة تنشر أفكارها وتدعو إلى مبادئها، فوق ما تملكه الأجهزة الإعلامية الأخرى[1].

أما اليهودية فقد تمكنت من إصدار ٨١٩ صحيفة ومجلة بمختلف اللغات، وفي أقطار عديدة إلى سنة ١٩٥٦م، ولا ندري الآن كم وصل عدد تلك الصحف؟!

---

(١) أنظر: الدعوة إلى الله تعالى للدكتور أبو المجد السيد نوفل ص ١٠ الطبعة الأولى ١٣٩٧هـ.

وتعمل الحركات التنصيرية والاستشراقية ليل نهار في محاربة الإسلام وإدخال الرّيب والشكوك في نفوس المسلمين.

ومن هنا صارت المهمة الملقاة على عاتق كل مسلم عظيمة كبيرة.

إن ذكرى المولد النبوي تذكرنا بسيرة هذا النبي الكريم، الذي ما عرف اليأس إلى نفسه طريقاً. ولو أن المسلمين اليوم اقتدوا بسيرته في دعوة الناس إلى الإسلام إذن لأثمرت دعوتهم، وآتت ثمراتها طيبة يانعة، إذ الاقتداء بسيرة الرسول ﷺ في مجال العمل الإسلامي مضمونة نتائجه، ولو أنه طريق طويل.

إن الذي يدعو إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، لابد أن يلاقي في طريقه عقبات وأهوالاً، إذ طريق الدعوة إلى الإسلام محفوفة بالأشواك والعقبات لا بالزهور والرياحين، ورسول الله ﷺ يقول:

(حفّت الجنة بالمكاره، وحفّت النار بالشهوات) رواه البخاري ومسلم.

وأسوتنا وقدوتنا في ذلك رسول الله ﷺ فقد لاقى ما لاقى في سبيل تبليغ رسالة الله، وتعرّض إلى ثلاث عشرة محاولة استهدفت حياته الكريمة، وذلك في المدينة المنّورة فقط، فضلاً عما لاقاه في (مكة المكرمة). وكل محاولة من هذه المحاولات حيكت خيوطها بأحكام وإتقان، ولكن الله نجاه، لأنه أخذ على نفسه عهداً أن

يعصمه من الناس.

وإذا كانت تلك المحاولات لقتل الرسول الكريم في حياته قد باءت بالإخفاق والخذلان فإن تلك المحاولات لا زالت مستمرة – كذلك– حتى بعد أن أنتقل الرسول الكريم إلى الرفيق الأعلى، بل إن محاولات اغتيال الرسول اليوم أكثر ضراوة مما كانت عليه من قبل، لأنها تملك من وسائل الإعلام ما لا تمله الجاهلية الاولى، فتستطيع بهذا الإعلام الغاشم الظالم أن تجعل الحق باطلاً والباطل حقاً.

وتتمثل محاولة اغتيال الرسول الكريم في قرننا العشرين، بتلك الهجمة الشرسة التي يقوم بها أعداء الإسلام من منصّرين ومستشرقين ومستعمرين، بغية تشكيك الأمة الإسلامية بهذا الدين، ومحاولة إقناع السذج من الناس أن الإسلام لا يصلح للتطبيق في كل زمان وفي كل مكان..!

وتتمثل هذه الهجمة الشرسة –أيضاً– بتشكيك المسلمين بسنة نبيهم ﷺ. وما المحاولات هذه إلا امتداد لتلك المحاولات التي استهدفت شخص رسول الله ﷺ قبل أربعة عشر قرناً.

ولا بد لنا أن نشير في هذه المناسبة إلى أن الذي يدعو إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، يتحتم عليه أن يضع له منهجاً يتحرك في ضوئه، واضعاً نصب عينيه طبيعة المجتمع الذي يعمل فيه، إذ طبيعة العمل في المجتمع المسلم الذي تتوافر فيه

عناصر الاستقرار، يختلف عن طبيعة المجتمع الجاهلي الذي تنعدم فيه عناصر الاستقرار، وتكثر فيه الاضطرابات والمشكلات.

إن كثيراً من المسلمين اليوم أخطأوا الطريق الصحيح الذي كان يجب عليهم أن يتّبعوه والا يحيدوا عنه، فقد اكتفوا من الدعوة إلى الإسلام بالجدل العقيم فيما بينهم، ينتقدون هذا وذاك في أمسياتهم وأحاديثهم ...!! وهكذا تنقضي الأيام والأسابيع والشهور والسنوات، من غير أن يقدموا لإسلامهم أية فائدة كانت، في الوقت الذي نجد أعداء الإسلام يهتبلون كل ساعة لتشكيك المسلمين بإسلامهم، وبدعوة الناس إلى الإيمان بأنظمتهم وأديانهم!

فإلى متى يظل كثير من المسلمين في هذه الضحالة الفكرية والعيش على هامش الحياة؟!

ماذا ينفع الجدل العقيم بين المسلمين أنفسهم، ودعاة الكفر والضلال والباطل يكادون يهيمنون على كل شئ في هذه الدنيا؟

إن الإسلام لا يمكن أن ينتصر وتعلو له راية بالكلام الفارغ الذي يتسلى به الناس في أوقات فراغهم.

إن الإسلام لا يمكن أن ينتصر وتعلو له راية، إذا لم يقم المسلمون بواجبهم الحقيقي نحو اسلامهم، وواجبهم أن يكونوا أذكياء في تصرفاتهم وفي حكمهم على ما يجري أمامهم، وألاّ

يخدعوا بالمظاهر البراقة، والأحاديث الجذابة، والكلمات المعسولة التي ينخدع بها أصحاب العواطف، الذين يسيرون وراء عواطفهم فقط، فتطغى هذه العواطف على عقولهم، فيكون حكمهم بعيداً عن حكم الإسلام الصحيح حين يتّبعون أهواءهم فيضلون عن طريق الإسلام الصحيح!

إن على المسلمين أن يرتفعوا بأنفسهم عن ذلك المستوى الهابط، وألا يكونوا كالنعامة التي تدسّ رأسها في الرمال وتظن أن أي أحد كان لن يراها إذا فعلت ذلك!!

ننظر الآن إلى واقع الحركات التنصيرية ولا أقول التبشيرية في العالم فماذا نرى؟

لقد نشرت الصحف الفرنسية أنّ في العالم اليوم (مائتين وخمسين آلف) مبشّر نصراني، قد تفرغ تفرغاً كاملاً تاماً للدعوة إلى النصرانية. ويملك هؤلاء طاقات كبيرة مادية ومعنوية، فوق النصيب الوافر الذي تدرّبوا عليه من الخداع والدجل والمواربة والافتراء فيستغلون –في بعض البلاد الإسلامية– فقر المسلمين المدقع، وعوزهم البائس فيقومون بنشر النصرانية فيما بينهم. ففي (أندونيسيا) –مثلاً– تنصّر ما يقرب من عشرة ملايين مسلم. ولا تزال الحركات التنصيرية تعمل وتعمل و (الحبل على الجرار) كما يقولون. وما نجح هؤلاء المنصّرون هذا النجاح إلا لغفلة المسلمين، وانشغالهم بالسفساف من الأمور، وترك الميدان لأعداء

الإسلام فسيحاً واسعاً، يسرحون ويمرحون، ويضللون عقول المسلمين كما يشاؤون.

ولم ينجح هؤلاء هذا النجاح لضعف في مبادئ الاسلام – حاش لله أن يكون شئ من ذلك– بل لضعف المسلمين أنفسهم، حين يتجهون اتجاهات لا يرضاها الله ولا رسوله!

إن هذه الحادثة التي ذكرتها هي غيض من فيض مما يجري لدى المسلمين، وأعداء الإسلام يجعلون تعتيماً إعلامياً تاماً أو شبه تام عما يجري للمسلمين في العالم. وتتعمد الحركات التنصيرية ذلك كيلا تثور الحمية الإسلامية والغيرة الإيمانية في نفوس المسلمين فيعرقلوا سير حركاتهم في العالم. وهذا ما اعترف به بعض الذين يعملون في الحركات التنصيرية!

إنها مآس وخطوب ومحن تدع الحليم حيران، لكنها الحقيقة المرة نقولها على مضض ليتعظ شبابنا، وينفضوا عنهم هذه الحياة البائسة التي تجرّعنا فيها كؤوس الذلة والمهانة وسرنا فيها ولا نزال نسير كذلك..!

فماذا نقول يا أبا القاسم يا رسول الله، ونحن نحتفل بذكرى مولدك؟

يا أبا القاسم لو تنظر ما
حلّ بالإسلام أضناك الحياء
أمة قد لعب الدهر بها
وقد استولى عليها الغرباء

بعضهم يأكل بعضاً وهم

أسراء أجراء جهلاء

ما لهم في الكون رأي واحد

وهم والرمل في العد سواء

فرق هيهات أن يجمعها

مذهب والدين منهمن براء

لبكت عينك أنىّ نظرت

وعلى الإسلام قد حق البكاء

أين تلك القوة العظمى التي

دانت الأرض إليها والسماء؟

يا نبياً فضله عمَّ الورى

ما الذي فيك تقول الشعراء؟

وقد يعجب البعض منا ويقول: ما لنا ولهذا الكلام، ونحن نحتفل بذكرى مولد سيدّ الوجود محمد بن عبد الله ﷺ ؟

فأقول: إن هذه الذكرى العطرة، نهتبلها لنتحدث فيها عن الواقع الذي يعايشه المسلمون اليوم، وذلك بتشخيص الداء، ثم وصف الدواء الشافي بأذن الله. وليس من داء أصيبت به الأمة الإسلامية أكثر من داء الابتعاد عن شريعة الله رب العالمين. وقد عمل أعداء الإسلام –ولا يزالون يعملون كذلك– من أجل الديمومة على البعد عن الإسلام وتغذية هذا الداء بكل وسيلة.

وليس لنا من دواء ناجح لهذه الأمة إلا دواء الرجوع إلي الله، والتمسك بالإسلام قولاً وعملاً، وذلك باتباع من نحتفل بذكرى مولده ﷺ نتبع هديه، ونأتمر بأوامره، وننتهي عن نواهيه، والله ﷻ يقول:

(فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا) سورة النساء/ ٦٥.

إن سماع الكلمات الإسلامية التي تدعو إلى التمسك بالفضائل والمكرمات، وتحضّ على أمتثال توجيهات القرآن والسنة، وترسم الطريق الصحيح للعمل الإسلامي –إن ذلك كله لا يكفي إذا لم يكن هناك تطبيق صحيح لهذه التوجيهات التي يسمعها، بل سماعه لها يكون حجة عليه يوم القيامة. فهذا الشافعيرضي الله عنه يقرأ على الناس حديثاً لرسول الله ﷺ فيسأله سائل:

يا إمام، هل تعمل أنت بهذا الحديث؟

فيرد عليه الشافعي قائلاً:

أرأيتني نصرانياً؟!

أرأيت على وسطي زناراً؟!

أرأيتني خارجاً من الكنيسة؟!

إن التباكي على الإسلام والنحيب عليه من غير عمل مجد لا فائدة فيه ولا خير فيه.

لقد دخل واحد من الأمراء على أمه وهو يبكي بعد أن سقطت إمارته في يد الأعداء ولكن ماذا قالت له أمه؟

قالت له: يا بنيّ، إن الملك الذي يبكي عليه أصحابه لا يعود، إنما يعود الملك الذي يقاتل عنه أصحابه!

فهل ترضون لأنفسكم –يا شباب الإسلام– أن تكونوا كهذا الأمير؟

إن واقع المسلمين اليوم هو كواقع ذلك الأمير سواء بسواء! وهيهات أن تقوم للمسلمين قائمة، وترفع لهم راية، ويعلو لهم صوت، إذا لم يتركوا الجدل العقيم جانباً، ويتجهوا منذ اليوم إلى العمل الحقيقي للإسلام ، وذلك بدعوة المسلمين قبل غيرهم إلى الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة.

لا يقل أحد ماذا أعمل؟ وكيف أعمل؟ فإن سيرة رسول الله ﷺ ينبغي أن تكون خير منهاج لنا (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ) سورة النحل /١٢٥، ولتكن هذه الدعوة جزءاً من حياتك.

وبعد:

فلقد شهدت الدنيا كثيراً من الزعماء، استلبوا قلوب الجماهير، ثم طواهم النسيان فما عاد يذكرهم ذاكر.

ولقد عرفت الدنيا قادة، كاد الناس يسجدون لهم، ثم ذهبوا (هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا) سورة مريم /٩٨.

لقد وعى التاريخ ملوكاً عبدهم الناس من دون الله، وذكرهم أكثر مما ذكروا الله، وأملوا فيهم ما لم يؤملوه في الله، وبذلوا لهم في سبيلهم الغالي والرخيص، ثم ما لبثوا أن عرفهم الناس على حقيقتهم، فلعنوهم في الملعونين!

ولقد عرف الأنبياء والمرسلون في جلالهم وسمّوهم، والمصلحون والعارفون في وقارهم ورزانتهم، وحبهم الخير ونفعهم الناس...

ولقد رئي الاكاسرة في ملكهم، والقياصرة في أبهتهم، والأغنياء في رغدهم، فما أحب أحد من الناس أحداً كما أحب أصحاب محمد محمداً، فربّوا أبناءكم وبناتكم على ذلك...

روى ابن عساكر بسند جيد عن بلال ﷺ أنه لما نزل (بداريّا) –وهو مكان قريب من الشام– رأى النبي ﷺ في المنام –بعد وفاته– وهو يقول: ما هذه الجفوة يا بلال؟ أما آن لك أن تزورني؟

فانتبه (بلال) حزيناً خائفاً، فركب راحلته، وقصد المدينة، فأتى قبر النبي ﷺ فجعل يبكي ويمرغ وجهه عليه.. فأقبل (الحسن) و (الحسين) ﷺ ، فجعل (بلال) يضمهما ويقبلهما، فقالا له: نتمنى أن نسمع أذانك الذي كنت تؤذن به لرسول الله ﷺ في المسجد!

ووقف (بلال) موقفه الذي كان يقف فيه. فلما قال : (الله أكبر الله أكبر) ارتجت المدينة!

فلما قال (أشهد أن لا آله إلا الله) ازدادت رجتها!!

فلما قال: (أشهد أن محمداً رسول الله) خرجت العواتق –أي النساء– من خدورهن وقلن: أبعث رسول الله ﷺ؟!! فما رئي يوم أكثر باكياً ولا باكية بالمدينة بعده ﷺ!

فيا أيها الاخوة المؤمنون:

إن الدنيا اليوم في حاجة إلى رجال يحملون إيمان (أبي بكر)، ويعدلون كعدل (عمر)، ويجودون كجود (عثمان)، ويجاهدون في الله كجهاد (علي)، وما ربّت هؤلاء إلا مدرسة محمد ﷺ.

إن المسلمين اليوم في الدنيا كلها أحوج ما يكونون إلى أمثال (خالد) و (صلاح الدين) و (نور الدين) ولم يتخرجوا إلا من مدرسة محمد ﷺ.

الحرية بين المسخ والتطبيق

كان الغربيون –وما يزالون كذلك – أسرى أحقادهم وتعصبهم وبغضهم للإسلام وأهله هذه القرون المتطاولة، مع أنّ مر الأيام وكرّ السنين يكفكف من غلواء المتعصبين، ويبرد من حرارة البغض، وينسي الحقود حقده، أو يحمله على أن يتناساه!

إن هؤلاء الغربيين قد ينظرون إلى (البوذيين) و(البراهمة) و (المجوس) نظرة ملؤها التسامح، بل قد لا يرون غضاضة في التقرب منهم والتعاون معهم. أما إذا كان الأمر أمر إسلام ومسلمين، فالموقف يتبدل غير الموقف!

إن فكرة الغربيين عن اليهود واعتقادهم أنهم هم الذين صلبوا المسيح عليه السلام ، وأن الأبناء من اليهود يحملون جريرة الآباء فيما اقترفوه في حق السيد المسيح عليه السلام إلى يوم القيامة معروفة، ولكن الغربيين –مع ذلك– لا يرون أي بأس كان في قيام دولة اليهود على أساس ديني بحت، وان يسموها باسم نبيهم (إسرائيل) الذي هو (يعقوب) عليه السلام، وإن يمدوها بكل أسباب البقاء، ويمكنوا لها أن تعتدي متى شاءت، وأن تعربد متى أرادت بسلاح الغربيين وأموال الغربيين، وإن ذلك كان سبباً لتشريد ملايين من أهل فلسطين ظلماً وعدواناً على نحو ما عرفه تاريخ العالم في القديم والحديث!

إن المسلمين أغلبية في ديارهم، ومن حق الأغلبية –أينما

كانت– أن تقيم من الأوضاع وتتخذ لها ما تشاء من النظم، وتتبنى ما يروق لها من الأفكار مما ينبثق من دينها، ويتوافق مع تقاليدها وأخلاقها من غير أن تضار الأقلية!

أما إذا كان الأمر أمر إسلام ومسلمين، فالديمقراطية لا تكون محترمة إلا إذا خضعت الأغلبية لرغبات الأقلية، وتخلت عما يقتضيه دينها وتوجبه عقيدتها! فأي منطق هذا المنطق؟!!

إنّ الإنسان لم يكرّم من حيث هو إنسان، بغض النظر عن دينه ومكانته الاجتماعية كما كرّم في ظل الإسلام!

روى البخاري عن جابر بن عبد الله ﷺ قال:{مرت جنازة، فقام النبي وقمنا، فقلنا: يا رسول الله إنها جنازة يهودي! فقال: أو ليست نفساً؟ إذا رأيتم الجنازة فقوموا}.

ومعرفة قصة القبطي النصراني الذي ضربه ولد عمرو بن العاص، فجاء يشكوه إلى عمر، فقال عمر قولته المشهورة: (متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً)!

هذا والقبطي المضروب لم يكن مسلماً، ومن أمة مغلوبة، وهو إنسان عادي إزاء ابن حاكم مصر وفاتحها، فضلاً عن أنه لم يكن عربياً! ولم يجد سيدنا عمر الراحة إلا بعد أن يسر للقبطي أن يشفي غليله بضرب ابن عمرو بن العاص.

ولقد وعى التاريخ –فيما وعى– المنشور الذي أذاعه خالد بن الوليد ﷺ على أهل الحيرة لما فتحها –وكانوا نصارى– وقد جاء

فيه:

(كل من أصابته آفة، أو افتقر، وصار أهل دينه يتصدقون عليه، طرحت جزيته وعيل من بيت مال المسلمين هو وعياله)[1].

ولست في موقف استقصاء الشواهد على سماحة الإسلام مع مخالفيه، ومن شاء الاطلاع على الكثير الكثير منها فليرجع إلى كتاب (الدعوة إلى الإسلام) للسير توماس ارنولد، وهو رجل غير مسلم، فقد أورد في معاملة المسلمين لمخالفيهم ما يبيض صحائف التاريخ! وإن كنت ذاكراً فلأذكر كلمة المطران (مكاريوس) مطران انطاكية وسائر الشرق، قال المطران (مكاريوس):

(عمامة محمد أحب إليَ من قلنسوة القسيس).

ولم يقل (مكاريوس) قولته هذه –وهو مطران– إلا بعد ما رأى من رحمة المسلمين وتسامحهم مع رعاياهم ممن يخالفهم في الدين، على حين أن النصارى كانوا يسومون بعضهم سوء العذاب، بسبب اختلاف المذهب والطائفة.

إنا نحب أن نعيش وفق ديننا، وتحت راية إيماننا، مادين أيدينا بالتعاون والتآلف في شتى ديارنا لمواطنينا الذين أظلتهم

(١) الفكر الإسلامي والتطور للأستاذ فتحي عثمان ص ٢٦٥ الطبعة الثانية/ الدار الكويتية / الكويت.

وإيانا سماء أوطاننا، ونهلنا –جميعاً– من خيراتها، ولنعلم –جميعاً– أن الغربيين لا يريدون بنا خيراً فيما يظهرون ويزعمون...

إننا لا نبغي بديننا بديلاً، ونحن نعتقد قول ربنا ﷻ:

(لا يَنْهَاكُمْ اللَّهُ عَنْ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ) سورة الممتحنة /٨.

وما يؤمله الغربيون من أننا سنبقى راضين بحياة بعيدة عن حكم الإسلام وتوجيهه وصبغته، فأمر بعيد المنال.

إننا –ولله الحمد– قد صحونا بعد غفلة، واستيقظنا بعد نوم طويل، وستعقب هذه الصحوة وهذا الاستيقاظ عودة جميلة إلى الإسلام إن شاء الله، في محيط الفرد والدولة:

(وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا) سورة الإسراء/٥١.

إنه لفرض واجب على كل مسلم أن ينصر دين الله في الارض، وينشر الفضيلة ويحببها إلى الناس ويزيّنها لهم، ويأمر بالمعروف، وهو كل ما أمر الله به ﷻ وحسنه شرعه، وسدّ منفذ الرذيلة والشر، وكرهه إلى الناس وطارد أهله!

سيقول السفهاء من الناس: إن هذا تدخل في حريات الناس وإكراه لهم لا يتفق وحقوق الإنسان!

يا عجباً لهؤلاء السفهاء! بل لا عجب!!

إن تفاهتهم هذه تصح، يوم يعتبر حمل الطالب على الدوام في مدرسته كي يحيا بالعلم الصحيح تدخلاً في حريته وإكراهاً له، وخرقاً لحقوقه باعتباره إنساناً!!

وإن سفاهتهم هذه تستحق أن تؤخذ مأخذ الجد، يوم يعتبر حمل الجندي في جيش الإسلام على الالتزام بأوامر القيادة واحترام النظام العسكري، وسدّ الثغرات –حتى لا تؤتى من قبله– كبتاً لحريته وخرقاً لحقوقه!!!

ما لهؤلاء الببغاوات يصمتون صمت أهل القبور إذا رأوا حقوق (الإنسان المسلم) تنتهك، وتقيد حريته، ويحال بينه وبين أن يعيش وفق ما يأمره به دينه في كثير من الأقطار والأمصار؟

ما لهم يصمتون صمت أهل القبور، وهم يرون (الإنسان المسلم) يزّين له الخروج على دينه، من حيث يحبّب إليه كل فكر وافد، ومبدأ فاسد، وفلسفة تافهة لاقت البوار والكساد في منبتها وموطنها؟!

ما لهؤلاء التافهين يصمتون صمت أهل القبور، وهم يرون المسلمين يكرهون إكراهاً مباشراً أو غير مباشر على أن يغرقوا في مستنقعات الفسوق والفجور والدعارة والعهر، ويضرب بينهم وبين أفكار الإسلام وأخلاق القرآن بسور له باب، ظاهره فيه

الخزي وباطنه من قبله العذاب؟!

ألأن الدين هو (الإسلام)؟!

ألأن الإنسان هو (المسلم)؟!

إن هؤلاء قد يحترمون الأديان الأخرى – ولو كانت عبادة لبقر أو سجوداً لحجر أو عبودية لبشر– فإذا كان الأمر أمر الإسلام تغير الموقف، وافترقت النظرة، واختلف الوزن!

إن القلوب إذا اسودت عميت، وإن الأبصار إذا غشتها أغشية الهوى حسبت الحق باطلاً والباطل حقاً، وإن الإنسان إذا تسربل بسربال الجهل عادى ما جهل!

إن (توماس كارلايل) في كلامه عن سيدنا رسول الله ﷺ ، وفي دحضه للكذب المشاع حول انتشار الإسلام بالسيف يقول ما معناه:

لو أن الإسلام انتشر بالسيف حقاً، فأي ضير في أن تكون القوة بجانب الحق وفي خدمته؟!

أنّ الفيلسوف الفرنسي (رينان) يقول:

(إنني لم أدخل مسجداً من مساجد المسلمين من غير أن اهتز خاشعاً، وان أشعر بشيء من الحسرة على أني لست مسلماً)[1].

(١) العبادة في الإسلام للأستاذ يوسف القرضاوي ص ٢٣١. الطبعة الثالثة ١٣٩٣هـ .

إن (توماس أرنولد) يقول عن صلاة الجماعة:

(انه لا يتأتى لأحد يكون قد رأى مرة في حياته ما يقرب من خمسة عشر ألف مصل في وسط المسجد الجامع بمدينة (دلهي) بالهند يوم الجمعة، وكلّهم مستغرقون في صلاتهم، وقد بدت عليهم أكبر شعائر التعظيم والخشية في كل حركة من حركاتهم ... إنه لا يتأتى لأحد يكون قد رأى ذلك المشهد إلا يبلغ تأثره به أعماق قلبه، وإلا يلحظ ببصره القوة التي تمتاز بها هذه الطريقة من العبادة عن غيرها)[1].

إن القوة اليوم تكره الناس في كثير من أقطار الأرض، في آسيا وأفريقيا وأوربا وأمريكا على أن يستمسكوا بأفكار لا يؤمنون بها، وبآراء يستسخفونها، أفيستكثر أو يستنكر على الإسلام – وهو دين الله– أن يحمل أبناءه على الاستمساك به والعض عليه بالنواجذ؟!

(فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ) سورة الحج /٤٦.

(١) العبادة في الإسلام ص ٢٣٢.

الصحوة الإسلامية

إن المتتبع للأحداث، المتلمس لأخبار الوطن الإسلامي، يجد بوادر صحوة إسلامية مباركة لم تقتصر على قطر دون قطر، بل أن شمسها أشرقت حتى في فلسطين الشهيد! فقد ذكرت جريدة (الرأي العام) الكويتية نقلاً عن جريدة (التايمز) أن ظواهر إسلامية جديدة بدأت تبرز داخل إسرائيل في القرى العربية، من قبيل جعل مواقف ومناطق جلوس للنساء منفصلة للرجال والنساء، وبدء توقف المطاعم عن تقديم المشروبات الكحولية والبيرة، نزولاً عند رغبة (الموجة الإسلامية). وعندما ينطلق صوت المؤذن منادياً إلى الصلاة يتوقف اللعب والعمل، ويقف الأشخاص في صفوف في اتجاه مكة لتأدية الصلاة. وعندما تنتهي الصلاة يستأنف العمل.

وتمضي جريدة (التايمز) فتقول: إن إسرائيل بدأت تواجهها بشكل متزايد مطالب تنادي (فلسطين إسلامية)! وقد صرح خبير الشؤون الإسلامية في الجامعة العربية فقال:

(إن الصحوة الإسلامية في إطار إسرائيل ليست حركة يمكن اجتثاث جذورها).

هذا بعض ما أوردته جريدة (التايمز)!

والملاحظ أن التوجه الإسلامي في فلسطين –وهو القاعدة الجماهيرية الكبرى– تمثّل لأول مرة في المجلس الوطني

الفلسطيني الذي عقد في الجزائر سنة ١٩٨٧! وقد سالت جريدة (الأنباء) الكويتية أحد المجاهدين، وهو الشيخ (جميل عبد الرحمن حمامة) قائلة: نسمع عن صحوة إسلامية كبيرة تعمّ الأرض المحتلة، فما أهم مظاهر هذه الصحوة؟ وما أهم أسبابها؟

فأجاب الشيخ المجاهد: إن الصحوة الإسلامية في الداخل أمر طبيعي. ومن أهم مظاهر هذه الصحوة إقبال الشباب على الاسلام، والتحلي بالأخلاق الإسلامية، والإقبال على الكتب والمنشورات الإسلامية.

أما أسبابها، فهي فشل كل الحلول والأفكار الغربية في زعزعة عقيدة هذه الأمة وتاريخها العريق، والفضل في ذلك لله أولاً وآخراً.

وتسأل الجريدة الشيخ المجاهد عن الحل الذي يراه أبناء الأرض المحتلة لقضيتهم من خلال معايشتهم لليهود عن قرب، وبصفتهم أكثر التصاقاً بالارض؟ فيجيب الشيخ المجاهد:

الحل الأمثل الذي يراه أبناء الأرض المحتلة والذي يؤمنون به، هو حل (عمر بن الخطاب) و (صلاح الدين الأيوبي). وليس هناك بديل آخر.

إن هذا الذي أوردته يذكرنا بنكسة الخامس من حزيران باحتلال اليهود للقدس الشريف، وسيطرتهم على أراضٍ من دول عربية مساحتها أكبر من مساحة فلسطين، وركوب الغرور أحد

قادة اليهود، فيرفع صوته قائلاً: (الآن انفتح الطريق إلى المدينة المنوّرة)!!!

إن الأمم تأخذ من تاريخها الدروس والعبر!

إنّ الجيوش التي حاربت في حرب حزيران من ورائها شعوب سحقها الإذلال والكبت ومسخها القهر، وأتعسها الفقر، وبدد قواها الفساد والانحلال، وجردها الفسق والانحراف من أمضى أسلحتها واشدها: سلاح الأيمان..!

عندما نشبت حربنا مع اليهود في الخامس من حزيران كانت إحدى الإذاعات العربية يزعق مذيعها بقوله: اضربْ .. اقتلْ .. اسحقْ لتكون كلمة العروبة هي العليا.

يا ويح هذا ومن وراءه! أيّ كلمة للعروبة يعني؟

لقد علّمنا القرآن الكريم أن ثمة كلمتين في الوجود: كلمة الله، وكلمة الذين كفروا، وذلك في قوله تعالى:

(إِلاّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّـهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّـهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللَّـهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) سورة التوبة /٤٠.

فهل للعروبة كلمة غير كلمة الله؟

وقبل أن تنشب المعركة بقليل كان الإسلام عرضة للهجوم والسخرية والقذف بالحصى والحجارة في مجلة يثقّف بها جيش

عربي اسمها (جيش الشعب)، حتى اجترأ مجترئ أن يكتب فيها وهى مجلة رسمية علنية هذه العبارات:

(والطريق الوحيدة لتشييد حضارة العرب، وبناء المجتمع العربي، هي خلق الإنسان الاشتراكي العربي الجديد الذي يؤمن أن الله والأديان والإقطاع والرأسمال والمتخمين وكل القيم التي سادت المجتمع السابق ليست إلا دمى محنطة في متاحف التاريخ).

فجنودنا في ذلك القطر المنكوب بالثائرين ولكن على الله، والمتمردين ولكن على الحق، والرافضين ولكن لمقومات امتنا وعناصر القوة فيها، والتقدميين ولكن إلى جهنم ... إن جنودنا في ذلك القطر يلقّنون أن الله ميت، حتى لقد أصبح لعبة محنّطة في متحف التاريخ، وكذلك أديانه ﷻ فكان من ثمرة تمردهم على الله أن خسروا الجولان، بل سلموا الجولان!

أما (ميخائيل نعيمة) فقد قال بعد الهزيمة: إن على العرب أن يتعبدوا للعلم والمال، لعل العلم والمال لا يخذلانهم حيث خذلهم ربهم!!

وكذبت يا ميخائيل يا دخيل، لأن وعد الله بالنصر حق ولكن لمن نصره، فهل كان الذين قاتلوا ناصرين لله حتى ينصرهم الله؟!!

هل علمت يا ميخائيل أن الجيش المصري قبل أن يدخل

المعركة في الخامس من حزيران وزّعت عليه (١٦٠,٠٠٠) صورة للراقصات كما ذكرت جريدة الأهرام؟!

لقد كانت إحدى الإذاعات تهدر، تشجع الضباط والجنود قائلة: قاتلوا باسم فلان وعلان. قسماً بفلان وعلان. إن الفنانين من ورائكم. إن فلانة المطربة معكم، والأخرى الممثلة بجانبكم، فهل ينصر الله مثل هؤلاء في ميزان دينك وديـن أمثالك يا ميخائيل؟

ولا يزال الناس يتذكرون قول مذيع شهير:

(أخي العربي، ضم مذياعك إلى صدرك فغداً تدخل جيوشنا (تل أبيب)، وتقف (أم كلثوم) تغني للنصر)!

فهل سماع (أم كلثوم) تغني في (تل أبيب) يستأهل أن يضحي الجندي بروحه حتى يسمع (أم كلثوم) تغني؟!!

ولم يكن (ميخائيل) هو العازف الوحيد على قيثارة التضليل، فله أشباه من الدخلاء كثيرون، منهم سيئ الصيت (نديم ميخائيل البيطار) و (جوزيف مغيزل) و (لويس عوض) و (قسطنطين زريق) و (جرجيس فتح الله) وسواهم ممن إذا سمعتهم يتكلمون، أو قرأت لهم شيئاً مما يكتبون، حسبت أن الواحد منهم قد نسله الآن عدنان، أو أنجبه بالأمس قحطان، استغفر الله! بل كأنهم هم الذين نسلوا عدنان وقحطان. وهم –والله– ما لبسوا ثوب العروبة إلا ليتخذوها ستاراً يهدمون به الإسلام. ويا ليت قومي يعلمون!

وما أصدق قول الشاعر فيهم:

ماذا انتفاعك بالدخيـ

ل إذا تقحطن أو تعدنن

متصـاغراً حتى إذا

ثنيت وسادته تفرعن

كم فتنة حمراء فـي

ايقاد شـعلتها تفنن

إن القدس الشريف والأقصى الأسير وما حوله، ارض باركها الله ﷻ فليس يستحق شرف الدفاع عنها وشرف استنقاذها أناس يقاتلون تحت راية جاهلية!!

إن جنـداً لله يضـربون بسـيف رسـول الله ﷺ هـم الـذين يسـتحقون شـرف اسـتنقاذ القـدس والأقصـى والأرض المباركـة حوله!!

إنّ إسـرائيل تعمـل جاهـدة علـى ألاّ تكـون معركتهـا القريبـة والبعيدة مع الإسلام. إنها تريد تجريدنا من ديننا، لأنها تعلم علم اليقين أنها لا قبل لها بجنود يبيعون لله أنفسهم، ويرخصون في مرضاته أرواحهم !! تقول جريدة (يد يعوت احرنوت) على ما ورد في مجلة الأمة القطرية:

(ولكـن نخشـى أن تسـتغل الجماعـات الإسـلامية المعروفـة بعدائها لإسرائيل هذه الفرصة لتحريك المشاعر الإسلامية ضدنا،

وإذا نجحت في ذلك، وإذا فشلنا في إقناع أصدقائنا بتوجيه ضربة قاضية إليها في الوقت المناسب، فإن على إسرائيل أن تواجه حينذاك عدواً حقيقياً لا وهمياً: هو عدو حرصنا أن يبقى بعيداً عن المعركة وستجد إسرائيل نفسها في موضع حرج إذا نجح المتعصبون المسلمون في تحويل معركتنا إلى معركة ضد المجاهدين).

وتقول الجريدة اليهودية إياها –أيضاً–:

(إننا نجحنا بجهودنا وجهود أصدقائنا في إبعاد الإسلام عن معركتنا مع العرب، ويجب أن يبقى الإسلام بعيداً عن المعركة. ولهذا فيجب علينا أن لا نغفل لحظة عن تنفيذ خطتنا في منع يقظة الروح الإسلامية بأي شكل وبأي أسلوب، ولو اقتضى ذلك الاستعانة بأصدقائنا لاستعمال العنف في إخماد أية بادرة ليقظة الروح الإسلامية)!

وكلام الجريدة اليهودية هذا أوضح من أن يحتاج إلى توضيح!!

أيها الاخوة المؤمنون:

ولما هجمت جحافل (الصليبيين) على سوريا وفلسطين قبل ما يقرب من ثمانمائة وستين سنة، وانتزعوا القدس الشريف من أيدي المسلمين، وفعلوا ما يندى له جبين الإنسانية تنادى المسلمون لحربهم واستنقاذ القدس الشريف وبقية ديار المسلمين

من أيديهم. وقد هبّ المسلمون على اختلاف أجناسهم وقومياتهم للجهاد. ولم تكن القومية معروفة آنئذ. والمطلع على التاريخ يجد أنّ شرف الجهاد لاستنقاذ القدس حازه كلّ المسلمين، وبخاصة المسلمين من غير العرب، وان معظم أبطال الجهاد حينئذ كانوا من المسلمين غير العرب، وبخاصة الأكراد والأتراك. فـ (عماد الدين زنكي) وابنه (نور الدين زنكي) من الأتراك و (صلاح الدين الأيوبي) من الاكراد، و (الظاهر بيبرس) من القبجاق، وقل مثل ذلك عن (الملك المظفر قطز) و (كوكبوري) ملك أربيل وغيرهم وغيرهم.

ولما أعدت الصهيونية العالمية عدتّها لانتزاع القدس الشريف، وبناء هيكل سليمان، وإقامة دولة إسرائيل، أرادت أن تتجنب خطراً لم تستطع الصليبية أن تتجنبه قبل مئات السنين، إلا وهو وحدة المسلمين.

إن الإسلام يجعل (المسلم للمسلم كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً) وان المسلم أخو المسلم لا يسلمه ولا يخذله، وان كل شبر ارض يقال فيه (لا آله إلا الله محمد رسول الله) هو وطن كل المسلمين، له حرمته، وعلى المسلمين –جميعاً– واجب الدفاع عنه وفرض حمايته، وفي مقدمة أوطان المسلمين في الحرمة وعظمة المكانة في القلوب: أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين.. انه القدس الشريف أعاده الله وصانه! فكيف تجعل

اليهودية ومن وراءها المسلم لا يهتم بأمر إخوانه المسلمين؟

وكيف تحصر المسلم واهتمامه بأرض ضيقة يهتم بها ولها دون غيرها من بلاد المسلمين؟

كيف تجعل المسلم يخذل المسلم ويسلمه إلى أعدائه إن لم يساعدهم عليه؟

رأت اليهودية ومن وراءها أن الإسلام هو العقبة وهو السلاح الماضي الذي به طرد المسلمون الصليبيين قبل أكثر من ثمانمائة سنة، فلتعمل إذن على إزاحة الإسلام من حياة المسلمين، وسجنه بين جدران المساجد تمهيداً للإجهاز عليه!

وقد استطاعت اليهودية ومن ورائها (أوربا) و (أمريكا) أن تنجح إلى حد بعيد. لقد ربيت أجيال من الشباب المسلم تنظر إلى المسلمين من القوميات الأخرى على أنهم أجانب، فالعربي في نظر التركي أجنبي كالإنكليزي والفرنسي، والمسلم الإندونيسي غريب عن العربي غربة الألماني، وكذلك صار النظر إلى الأوطان، فهذا وطن تركي لا وطن إسلامي فأصبحت أجيال المسلمين لا تهتم بأمور المسلمين من القوميات الأخرى ولا بأوطانهم، فانفرط العقد وتفرقّ المسلمون أيدي سبأ!

وماذا نتج عن التفرق والتشتت إلا الضعف والهوان.. بل أن اليهودية ومن وراءها لم يقفوا عند هذا الحد، ولم يكتفوا بما حققوه من النجاح، فراحوا يفتعلون أسباباً للنزاع والخصام بين المسلمين،

تزيدهم ضعفاً وتباعداً وتمزقاً!

ولم يقف أعداء الإسلام عند حدّ، فما كانوا يحتلون موقعاً أو يهدمون حصناً للإسلام إلا أعقبوه بترسيخ أقدامهم فيما احتلوه وهدموه..! لكنّ الصحوة الإسلامية –ولله الحمد والمنة– جعلت الناس يدركون مكايد اليهود وأعداء الإسلام، إذ صاروا يؤمنون تمام الايمان، ويوقنون تمام اليقين، أن التمسك بالإسلام وحده وتطبيقه في كل شأن من شؤون الحياة هو الذي يحبط مخططات اليهود وأعداء الإسلام. فإذا أردنا –بحق– أن نحارب أعداء الله في كل مكان، فما علينا إلا أن نكون مسلمين بالفعل لا بالقول فقط. نطبقه في كل شأن من شؤون حياتنا، وإلا فنظل كما كنا، وكما يريد لنا أعداء الإسلام أن نكون.

وبعد:

فان إخواننا الجزائريين حرروا بلادهم بجهاد إسلامي، بعد استعمار غاشم دام مائة وثلاثين سنة. وقد سار رجالهم ونساؤهم وأولادهم في الشوارع يرددون:

(يا محمد مبروك عليك، والجزائر عادت إليك)!

فهل نرى اليوم الذي يحرر فيه جند الله اولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين فنردد مع المرددين:

(يا محمد مبروك عليك، والقدس عادت إليك)؟!

الإيدز الفكري

من العواقب المدمرة النازلة بالأوربيين والأمريكيين نتيجة انغماسهم في مستنقعات الفجور والفسوق مرض (الإيدز)، فقد صرح وزير الصحة الأمريكي بأن مرض (الإيدز) يمكن أن يؤدي إلى وفاة عشرات الملايين من الأشخاص خلال عشر سنوات، وانه لم يسجل أي تقدم كان في محاربة هذا المرض الخطير! وقال في مؤتمر صحفي:

(لم تروا أو تسمعوا شيئاً بعد) .

وزاد قائلاً:

(إن الطاعون والجدري والتيفود ستصبح أمراضاً بسيطة جداً بالمقارنة بما سيحدثه (الإيدز) من آثار مدمرة).

والمرض هذا يتلخص في فقدان الجسم للمناعة المكتسبة! وقد بلغ الرعب بالأمريكيين أن الرجل أصبح يخاف أن يقرب امرأته!!

إن فقدان الجسم للمناعة يصيره عرضة لأن تفترسه شتى الأمراض! وإذا كان (الأوربيون) و (الأمريكيون) يخيفهم أن تفقد أجسامهم مناعتها ضد الأمراض، فإننا يخيفنا جهل الغالبية العظمى من شبابنا ومثقفينا بالاسلام، ذلك الجهل الذي يصّيرهم عرضة للتأثر بكل فكر وافد، وعقيدة منحرفة، وخلق سيء! انهم لجهلهم بدينهم فقدوا الميزان الذي يزنون به الناس، فيعرفون أقدارهم ومنازلهم، ويميزون به الخبيث من الطيب..

وإنهم –لجهلهم بدينهم– وقفوا من دينهم موقف العدو – والناس أعداء لما جهلوا– ولطالما حاربوا دينهم من حيث يحسّون أو لا يحسون!

وإنهم –لجهلهم بدينهم– سهل على الأعداء أن يسخروهم لحرب كل غيور على الإسلام، داع إلى الأخذ به والاستمساك بعروته الوثقى، بدعوى محاربة الرجعية والتخلف، وحاش لله أن يكون الإسلام رجعية أو تخلفاً، ومن حسبه كذلك فقد كفر وحبط عمله.

وإنهم –لجهلهم بدينهم– يركضون وراء سراب يفنون أعمارهم في تعب ونصب، ويبلون أجسامهم في المعاصي، ويغرقون في الآثام، حتى إذا آن أوان الحصاد، لا يحصدون إلا الخيبة والمرارة والآلام والندم (ولات ساعة مندم! ...).

وإنهم لفقدانهم الرأي السديد، والرؤية الواضحة، حسبوا عدوّ دينهم صديقاً مخلصاً، وظنوا أخاهم في الدين الحريص على مصلحتهم عدواً يريد بهم سوءاً !

إلا إن خطر الجهل على شباب المسلمين والمثقفين أشدّ من خطر (الإيدز) على الإنسان!!

يا معشر الشباب ويا أيها المثقفون:

إن أول ما نزل من القرآن الكريم على قلب نبيكم محمد ﷺ: (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ۞خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ۞اقْرَأْ

وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ۞الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ۞عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ) سورة العلق /١-٥.

وان نبيكم محمداً ﷺ قال:

(من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين) رواه البخاري ومسلم.

فاقرأوا وتفقهوا في الدين تفوزوا بخيري الدنيا والآخرة.

ويا أيها الاخوة والأخوات:

إن الله ﷻ قد انعم عليكم بنعمة الايمان، والاقبال على طاعته وعبادته، وإن من عبادتكم ان تعلموا ثم تعملوا، فربنا الكريم قال:

(فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاّ اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ) سورة محمد /١٩.

وإنه ﷻ قال:

(...وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا...) سورة طه/١٣٢.

فعاهد ربك أن تدعو أهل بيتك وأبناءك وعشيرتك إلى ما وفقك الله إليه، فالأقربون أولى بهدايتك ومعروفك، ثم ابدأ بجيرانك وأصدقائك، واضعاً نصب عينيك قول الرسول الكريم ﷺ :

(بلغوا عني ولو آية). ولا تستصغر وتستقل ما معك من العلم! فالإنسان لا يزال عالماً ما طلب العلم، فإذا ظن أنه علم فقد جهل! ثم حاسب نفسك قبل أن تنام..

هل ازددت علماً في يومك الذاهب؟

هل هديت ضالاً؟

هل أرشدت جاهلاً؟

فان فعلت شيئاً من ذلك فاحمد الله وأساله القبول، وأن يعينك على المزيد.. وإن كان غير ذلك، فاندم على ما فاتك، وقد فاتك خير كثير!! وإذا سألت عن الخير الكثير ما هو؟

فاسمع وصية الرسول الحبيب ﷺ للإمام علي بن أبي طالب ﷺ وتدبرها، فقد أوصاه فقال:

(لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم).

وفي رواية: (خير لك من الدنيا وما فيها).

فهيا يا أخي، تعلم وعلّم، واسترشد وارشد، وتفقّه وفقّه، واسأل الله أن يعلمنا ما ينفعنا، وينفعنا بما علّمنا، وأن يزيدنا علماً، وأن يرحم من علّمنا!!

يوم المعلـــم

إذا أردنا أن نعرف أيّ المهن أشرف، وأي الأعمال أجل، وأي الوظائف أبعد أثراً في حاضر الشعوب ومستقبلها سلباً أو إيجاباً، تقدماً أو تأخراً، لكانت مهنة التعليم هي الأشرف والأجلّ والأبعد أثراً في مصائر الأمم والشعوب!

إن الوحي ناطق بهذا، ومن نزل عليه الوحي مصرّح به، فالله ﷻ قال لرسوله:

(وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا) سورة النساء/١١٣.

فإذا قال الله فالقول قوله. وقد روى عن رسول الله ﷺ أنه قال:

(إنما بعثت معلّماً) رواه الدارمي.

وفي هذا تشريف من الرسول الكريم ﷺ، شرّف به مهنة التعليم، وشرّف القائمين بها.

وقديماً كان أسلافنا ﷺ يقول قائلهم:

(من علّمني حرفاً ملّكني عبداً).

فأعرف قدرك –أيها المعلم– واعرف أي شرف ملكته لما عدّ سيّد الخلق وحبيب الحق نفسه معلماً!

إن التاريخ المستبصر برجاله الأفذاذ، يذكرون أهمية المعلم ومكانة التعليم، فهذا (نابليون بونابرت) رجع من إحدى معاركه

المظفرة، فخرج (الفرنسيون) عن بكرة أبيهم يستقبلونه، فلم يلتفت إليهم، لكنه أدهش الناس، إذ نزل عن حصانه، واتجه إلى رجل قد حنى ظهره الكبر، وأثقلته الشيخوخة، واستند إلى عكازه فحياه، وقبّل يده، وقال لمن حوله وهم مندهشون متعجبون: ان هذا هو معلمي، وهذا هو صاحب الفضل عليّ، أما هؤلاء الذين يصفقون لي ويهتفون، فسيهتفون غداً لخصمي إذا غلبني وظهر عليّ!

وهذا هرون الرشيد –رحمه الله– وقد كان يغزو سنة ويحج أخرى، أكل على مائدته أحد أساتذته وقد كان أعمى، فلما شبع قام ليغسل يديه، فصب (هرون الرشيد) بنفسه الماء على يدي أستاذه، وهو الذي بلغ من عظمته وسعة ملكه أن يخاطب السحابة بقوله:

(أمطري حيث شئت، فأن خراجك عائد إلى خزائني)!

فهل وفّي المعلم حقه في مجتمعنا؟

وهل أعددناه لتأدية مهماته الإعداد الواجب؟

إن علينا –جميعاً– أن نكون القدوة الحسنة لأبنائنا من الطلاب والطالبات، فالطالب يتأثر بمعلمه تأثراً كبيراً من حيث يشعر أو لا يشعر. وقد لا يظهر هذا التأثر أو بعضه الا بعد حين!

إن من بين المعلمين والمعلمات من يقول للطلاب: صلّوا وهو لا يصلي! وقد يراه طلابه في بعض الأماكن على نحو لا

يرضاه الله، ومقالة السوء بين الطلاب أسرع انتشاراً من النار في الهشيم، وما أحسن أن يكون المعلمون مربين بأقوالهم وأفعالهم معاً!!

ونقول مثل ذلك عن أخواتنا المعلمات: فما أحسن أن تكون الأخت المعلمة داعية إلى الاحتشام وقد أخذت به!

وما أحسن أن تأمر الطالبات بالصلاة، وتجعل من نفسها قدوة لهن!!

وما أحسن أن تعلم الطالبات أن التربية بالأدب لا بالذهب، وتكون في مظهرها مثالاً على ذلك، تستر ما أمر الله أن يستر.

لقد كان الفرنسيون يرددون مثلاً مشهوراً بينهم كلّما وقع حادث يلفت الأنظار أو يسترعي الاهتمام سلباً أو إيجاباً، ذلك المثل هو :(فتش عن المرأة)!

وأنا أقول فيما نصيب من تقدم أو تأخر، وفيما نبلغه من سمّو في الأخلاق، أو انحطاط وإسفاف، أقول: (فتّش عن المعلم)! وفيما مرّ بنا من أحداث مصداق لما أقول!

لقد أصدر أحد الكبار ممن كانوا يوجّهون التعليم في العراق وجهة غير دينية[1] –أصدر كتاباً عن التربية– يقول فيه

ما معناه:

---

(١) هو الدكتور فاضل الجمالي.

لقد ارتكبنا في حق العراق خطأً جسيماً، إذ أبعدنا التعليم عن الدين، ولولا هذا ما رأينا العراقي يسحل أخاه في الشوارع!!

فالله الله في أبنائنا!

الله الله في أفلاذ أكبادنا!

الله الله في دروس الدين، لا تهملوه –أيها المعلمون– فإنكم أن أهملتموه خنتم الأمانة، وأبناؤنا هم أمانتنا في أعناقكم، وأنكم ان أهملتموه فرطّتم في دينكم وهيأتم أبناءنا وبناتنا للزيغ، وجعلتموهم لقمة سهلة لذئاب الإلحاد والكفر، ودعاة الفساد والانحلال!

وأعيذكم –أيها الأخوة– أن تلقوا ربّكم خائنين للأمانة، مفرطين في دينكم، مقصّرين في واجبكم، غير محلين لأرزاقكم، معينين لأعداء دينكم وأمتكم!!

وتذكروا قول الله تعالى:

(وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ) سورة البقرة /٢٨١.

وداعاً رمضـــان

لـو سـئلت عـن شـئ يسـرني إقبالـه ويحزننـي رحيلـه لقلـت مـن غير تردد: إنه رمضان!

رمضـان الـذي تصـوم فيـه الـنفس عـن الخـواطر الرخيصـة والانفعـالات التافهـة، وتسـمو صـعداً فـي معـارج التقـوى والسـمو الروحي!

رمضـان الـذي أولـه رحمـة، ووسـطه مغفرة، وآخـره عتـق مـن النيران!

رمضان شهر الترفّع عن الدنايا، والتدريب على ضبط النفس، والنأي بها عن ساقط القول وفاحش العمل!

رمضان شـهر العفو عمن ظلم، والإعطـاء لمن حرم، والصلة لمـن قطـع! شـهر بلـغ مـن شـرفه عنـد الله أن يقـول الله ﷻ فـي الحديث القدسي:

(كل عمل أبن آدم لـه إلا الصـوم فإنـه لـي وأنـا أجزي بـه) رواه البخاري ومسلم.

(رمضـان قرين القرآن فـي الشفاعة للمؤمن يـوم القيامـة، يقول الصـيام: أي ربّ، منعتـه الطعـام والشـهوات بالنهـار فشـفعني فيـه، ويقـول القـرآن: منعتـه النـوم بالليـل فشـفعني فيـه فيشـفعان). رواه احمد والطبراني والحاكم وابن أبي الدنيا.

رمضـان صـوم يـوم منـه فـي سـبيل الله، يباعـد الله بـذلك اليـوم

النار عن وجه الصائم سبعين خريفاً!

رمضان كيف لا يحزن على فراقك المؤمنون؟! وكيف لا يأسى على رحيلك العبّاد والصالحون؟!

أما فيك تفتح أبواب الجنة، وتغلق فيك أبواب الجحيم، وتغل الشياطين؟!

أما فيك (ليلة خير من آلف شهر من حرم خيرها فقد حرم)؟!

أليس صيامك مكفّراً لما تقدم من الخطايا والذنوب إذا اجتنبت الكبائر؟!

فكيف لا نكون لفراقك محزونين؟!

أنجد في سواك من الأشهر ما نجد فيك من الفرح، فرح عند الإفطار، وفرح حين نلقى ربّنا إن شاء الله؟!

أنجد في سواك من الشهور ما نجد فيك من صفاء النفس، وطمأنينة القلب وسلامة الصدر، ونظافة الظاهر والباطن؟!

ما أطيب صلاة التراويح فيك!

ما أحلى السمر في لياليك!

ما ألذّ الطعام، وما أطيب الشراب يتناولهما الصائم في غمرة الفرح بأداء الطاعة والأمل بتقبل الفريضة!

رمضان! انك تذكرنا بأننا أمة واحدة ما لا يذكرنا غيرك، بسحورنا، بإمساكنا عن الأكل والشرب، بتأدّبنا بآدابك، بإفطارنا في وقت واحد..! وما أحوج أمتنا إلى أن تذكر وتتذكر بأنها أمة

واحدة!

رمضـان! لقـد حفلـت أيامـك مـن لـدن رسـول الله ﷺ بالمـآثر والمفاخر والأمجاد، صنعها الآباء والأحفاد، وأمتنا أحوج ما تكون إلـى استعادة الثقة بدينها وبنفسها وتاريخها، وما غيرك يذكر لها ويذكرها ويعيد لها ما فقدته من ثقة فلم عجلت الرحيل؟

رمضان يا شهر القرآن، ما ألذ قراءة القرآن في ليلك ونهارك ومن القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين، فكيف ترحل رمضان مخلفاً في قلوب المؤمنين الحسرة بعد الحسرة عليك، ونحن في أمس الحاجة إلى الرحمة والشفاء!

رمضـان! مـن بركاتك استجابة الـدعاء فيك، وها نحـن أولاء نجـأر إلـى الله أن يردنـا إلـى ديننـا رداً جميلاً ويوفقنـا لمـا يحبـه ويرضاه!

رمضـان! لـم أزمعـت الرحيـل! ان قلوبنـا ظمـأى إليـك ظمـأ الصـائم أجهده العطش الشديد في اليوم القائظ إلـى المـاء البـارد الزلال؟

رمضان يا ربيع الأبرار!

رمضان يا جنة العارفين! لم أزمعت الرحيل؟

إساءتك حالتنا؟

أآذاك ما رأيته من غربة الإسلام في اكثر دياره؟

أغمك وأحزنك ما رأيت من تمزقنا وتفرقنا وشماتة الأعداء بنا

وسفكنا لدمائنا فعجلت الرحيل عنا؟!

رمضان! ان كان لابدّ من الرحيل فبلغ عنا رسول الله السلام، وادع الله أن يتدارك أمته برحمته، فعلمه ﷻ بالحال يغني عن كثرة السؤال، ولا حول ولا قوة إلا بالله!

إلى الملوك والرؤساء

يحكى ان هارون الرشيد –رحمه الله– حجّ ذات سنة، وإذ هو واقف على صعيد عرفات، جاءه العابد الزاهد (عبد العزيز العمري) –رحمه الله– فقال له:

يا أمير المؤمنين، أترى الواقفين على صعيد عرفات كم عددهم؟

فأجاب هارون: إنهم كثيرون لا يعلم عددهم إلا الله!

فقال له: وكم ترى عدد من وراءهم من المسلمين الذين لم يحضروا موسم الحج؟

فأجاب هارون: هم كثيرون جداً، ولا يعلم عددهم إلا الله!

فقال له عبد العزيز: فانظر يا هرون، إنهم ومن وراءهم كل مسؤول عن نفسه أما أنت، فسيسألك الله عنهم كلهم يوم القيامة!!

فبكى هارون الرشيد بكاءاً شديداً حتى أخضلت لحيته بالدموع! لقد بكى خشية أن يلقى الله وهو مقصّر في حق المسلمين أو أحدهم!

فهل يستحضر هذا المعنى الملوك والأمراء والرؤساء والقادة؟!

إن عناصر القوة وأسبابها متوافرة لدينا بشقيها المادي والمعنوي، والمسلمون –مع ذلك– ضعفاء!

وإن دواعي الوحدة والاجتماع قائمة مجتمعة لنا ميسّرة: الدين واحد، والرب واحد، والقبلة واحدة، والتاريخ واحد، والمصير

مشترك، ونحن –مع ذلك– متفرقون!

إن الأخطار المحدقة بنا، والمصائب النازلة بساحتنا، وإن الأعداء المتكالبين علينا، وان كثرة المتربصين بنا الدوائر تصرخ بنا:

(الا أيها النوّام ويحكم هبوا) ونحن لا نزال نغط في نومنا!!

ان الشرق والغرب اختلفوا في كل شئ، لكنهم اتفقوا على حربنا، وان الذين كانوا متعادين بالأمس، نسوا أو تناسوا عداءهم، واجتمعوا تحسباً لخطر أو عدوان محتمل، ونحن –أبناء الأمة الواحدة– تفرّقنا الأهواء، وتشتتنا مبادئ الكفر والضلال، ونجعل بأسنا بيننا، ونسلس القياد لأعداء ديننا يضربوننا ببعضنا، ويخربون بيوتنا بأيدينا وهم الرابحون على كل حال!

فمتى نفيق ومتى ننتبه ومتى ننهض؟

أأنا يائس؟

استغفر الله! ان اليأس والقنوط لا يجتمعان مع الإيمان في قلب!

إني جاعل أملي في الله ﷻ ، الذي لا يردّ سائلاً ولا يخيب راجياً!

لقد كان اجتماع ملوك المسلمين ورؤسائهم وأمرائهم، يعد قبل ثلاثين سنة حلماً من الأحلام! وقد أصبح اليوم حقيقة! وان ما يراد من ملوك المسلمين ورؤسائهم وقادتهم أشياء ضخمة هائلة.

انّ مساعفة الشعب الفلسطيني المضطهد –والضربات تكال له من العدو ومن أناس من أبناء جلدتنا– شئ مهم ومطلب عاجل!

وان وضع خطة لاستنقاذ القدس الشريف والبلد الشهيد (فلسطين) على المدى القريب والبعيد، أمر مهم ومطلب عاجل!

وأن مد يد العون لإخواننا في الدين من الأقليات الإسلامية في القارات الثلاث، شئ يوجبه الله، وتحتمه الاخوة في الدين!

وان النهوض لمواجهة حملات التنصير والتكفير لأخوة لنا في الدين، اطمع أعداءنا في تكفيرهم وتنصيرهم جهلهم بالإسلام وفقرهم! ان النهوض لردها وحماية إخواننا منها، أمر يوجبه الله، وتحتمه الاخوة في الدين!

وان نسيان الخلافات التي أضعفت قوانا، وبددت شملنا، وأطمعت أعداءنا فينا، وأهرقت الزكي من دماء أبنائنا في أفريقيا وآسيا، أمر مطلوب من الملوك والرؤساء والقادة أن يعالجوه ويضعوا له حداً!

وإن الناظر بعين العطف، ومد يد العون المستطاع إلى المجاهدين في الله الذين أنهضتهم حميتهم للإسلام وغيرتهم على دين الله، وخوفهم من أن يحلّ الإلحاد محل الإسلام أمر يقتضيه الوفاء والمصير المشترك والتناصر في الله.

ومع كل هذا أو قبله، أهيب بالملوك والرؤساء –لو تبلغهم

اهابتي ويصلهم ندائي– ان يرجعوا بالأمة إلى الإسلام، فما ضمت شعوب المسلمين صدورها، ولا خفقت قلوبها إلا بحب الإسلام ، وحب الوفاء لله ورسوله والمؤمنين!

فإن أرادوا أن يتبدل خوفنا أمناً، وتشتتنا أجتماعاً، وتفرقنا وحدة، وان نكون صورة صادقة لما يريده منا ربنا وديننا، فليعملوا على تغيير ما في النفوس، فان ذلك أول خطوة في الطريق إلى الله!

فيا أيها الملوك والرؤساء والأمراء: أخلصوا النية في التوجه إلى الله، واعلموا أننا بالإسلام خير أمة أخرجت للناس، وبغيره لا نحصد إلا الخيبة، ونجني إلا الذل والتمزق والشتات.

يا أيها الملوك والرؤساء والأمراء: إن المقصر في حق نفسه يعاقبه الله، وإني أعيذكم بالله أن تلقوا الله غداً وأنتم تحملون أوزار دين خذلتموه وتخليتم عنه، أو ضعف أمة كنتم السبب في إضعافها وتمزقها، أو أخوان لنا في الدين، خليتم بينهم وبين الكفار الحاقدين، من الصليبيين واليهود وعبدة البقر والملحدين يسومونهم سوء العذاب!

يا عيـــد

العيد موسم فرح وترويح للنفس، وتخفيف من الأعباء التي قد تكون أثقلت المسلم وانهكته.. ولا بأس باللهو المباح في هذه الأيام. ومعروف ان النبي ﷺ أذن للحبشة أن يلعبوا بحرابهم في مسجده الشريف، وأذن لزوجته عائشة ﷺ أن تنظر إليهم، وكان ذلك يوم عيد.

ولقد كان الناس إلى عهد قريب يتوافدون إلى قرية (نينوى) عندنا بالموصل، لمشاهدة سباق الخيل وألعاب الفروسية التي كانت تجري بمناسبة العيد، من غير أن تنتهك حرمة، أو تقترف معصية.. بل انّ هذه الألعاب إذا قرنت بنية تكون وسيلة يتقوى بها المسلم، ليكون أقدر على الجهاد –إذا دعا داعيه – تصبح عبادة وقربة إلى الله تعالى.

أن العيد عندنا – معشر المسلمين– يعقب طاعة لله ﷻ فان كان عيد فطر يعقب طاعة الصوم، وان كان عيد أضحى يعقب طاعة الحج، ولهذا كان الصحابة الكرام إذا هنّأ أحدهم الآخر بالعيد يقول له: تقبّل الله منا ومنكم!

فإذا كان الأمر كذلك أفلا يستحيي من الله الفاسقون الفاجرون، والفاسقات الفاجرات أن يراهم الله في لهوهم وعبثهم، وفسوقهم وفجورهم في هذه الأيام الشريفة وأمتهم في مشارق الأرض ومغاربها تعتصرها الآلام، ويتكالب عليها الأعداء،

وتتوالى عليها النوائب؟!

إني أهيب بالذين يجعلون من أيام العيد الشريفة موسم عبث وعربدة، وانتهاك للحرمات، واقتراف للمحرمات، أن يعوا أحوال المسلمين اليوم، وما ينزل بساحتهم من نكبات ومصائب .. فما يجوز في دين الله، ولا يسوغ في خلق كريم أن يلهو شبابنا ويعبث، والمسلمون في كل مكان يسامون سوء العذاب!!

أيها المسلمون: أبعثها إليكم صيحة من فوق منبر رسول الله ﷺ أن لا تجعلوا العيد موسماً لتجديد الثياب وزيادة الفراغ وازدياد الإقبال على الشيطان!

العيد يأتي بعد جوّ العبادة، فلا تحولوه إلى لهو وعبث يفقد الأمة ما كسبت من روحانية في شهرها المبارك!

أظهروا عظمة الإسلام في نظامه الاجتماعي، إذ ينشئ في الجميع شعوراً واحداً وكلمة واحدة على ألسنة الجميع، بحيث يشعرون بحق أن فيهم قدرة على تغيير الايام، لا قدرة على تغيير الثياب!

إن إسلامكم يجعلكم في العيد كأنكم في دار واحدة وإن كنتم في بلد عظيم، ويجعلكم – وأنتم شعب كبير – كأنكم أسرة واحدة، فهل أنتم مستجيبون فكائنون كذلك؟!

هل علمتم –أيها المسلمون– حقيقة من حقائق العيد، وقد جاء في أعقاب شهر كريم، تحملتم فيه مشقة الجوع وجهد

العطش، وبلوى كف النفوس عمّا يلذ لها وتشتهيه حقيقة الانتصار على النفس ونوازعها، وان العيد إنما هو في الحقيقة إعلان الفرحة بهذا الانتصار؟

ان الصائم كما يفرح بساعة فطره بعد صوم يومه، فهو في العيد يعلن فرحته بفطره بعد شهر صومه!

أيها العيد المبارك:

أما آن أنْ تأتينا وقد تبدل الحال غير الحال، وقد أصبح المسلمون جميعاً يداً واحدة على منْ سواهم؟

أما آن أنْ تأتينا وقد عاد إلى الاكثرين منا من المفتونين بكفر الشرق وفجور الغرب وعلمانيته؟!

أما آن أنْ تأتينا وقد عاد إليهم صوابهم، وهُدُوا إلى رشدهم، فلا يتلقون المبادئ والأفكار والنظم والمناهج من أعداء دينهم، بل يتلقونها من الله ورسوله؟!

أما آن يا عيد أن تأتينا، وقد تحررت أرواحنا وعقولنا من عادات الاجانب، وتقاليد الكفرة، وانحلال الفاسقين الفاجرين؟!

أما آن يا عيد أنْ تأتينا في موكب من جلال الإسلام، وروعة الأيمان، وعزّ الطاعة لله ورسوله، بدلاً من أنْ تأتينا أياماً مجردة من الجلال والروعة والعز، ليس لها من العيد إلا أسمه؟!

متى تأتينا يا عيد بالفرحة تفعم قلوب اليتامى، وبالبسمة ترتسم على شفاه الأرامل، وبالأمل يعمر نفوس الشباب، وبالراحة

والسكينة تعمر نفوس الآباء والأمهات؟!

يا عيد، في نفوسنا ظمأ إلى أيام المجد والعز والقوة فمتى تعود؟

يا عيد متى تأتينا بتغيير النفوس، فلا نحب إلا لله، ولا نبغض إلا لله، ولا نعطي إلا لله، ولا نمنع إلا لله؟ نفوس لا تبتغي العزة بغير الإسلام؟

يا عيد، هل علمت من رمضان –وقد جئت رديفه– ان سيبلغ شكوانا إلى الله: من تفرق الكلمة، وتمزق الصفوف واستئثار بعض شعوبنا بخيرات المسلمين دون سواها من شعوب الإسلام؟

يا عيد، هل علمت أن شعوب المسلمين قد لفّها ظلام الضلال، وأغرقها أو كاد طوفان الانحلال والفساد، وسالت دماؤها بأيدي أبنائها، وأخربت بيوتها بأيديها والأعداء يصفقون شامتين، يكادون يجنّون من الفرح؟!

يا عيد، مالك لا تجيب؟ ألأنك –مثلنا– حزين غريب؟!

يا عيد، متى تأتينا بطمأنينة القلوب، وانشراح الصدور، وصلاح البال، وتيسير الحال؟!

يا عيد، متى تأتينا بـ (الاستقلال الحق) في الأخلاق فنتجرد من كل خلق إلا خلق محمد!

يا عيد، متى تأتينا بالاستقلال الحق في القضاء والتشريع، فنكنس من مجتمعاتنا قوانين الغرب وأنظمته، وتعود إلينا شريعة

الله ﷻ ؟

متى يا عيد؟ متى نستقل الاستقلال الحق في كل شئ حتى تبرز لنا شخصيتنا الإسلامية الصحيحة، فنتميز عن سائر الأمم، فتكون لنا القيادة والريادة لسائر الامم، فنعيد عيد السادة الأحرار؟!

يا عيد، متى يشعر المسلمون بحقيقة الأوضاع القاسية التي يعايشها إخوانهم في كل مكان؟!

ان المسلمين في الهند هم أكبر أقلية إسلامية في العالم، فعددهم يقرب من مئة مليون وهم –مع كثرة عددهم– يسومهم الهندوس عبدة البقر سوء العذاب!

ان المذابح التي يقترفها الهندوس في المسلمين في ازدياد سنة بعد سنة وان حرب إبادة تشنّ على المسلمين هناك تقشعر منها الأبدان!

انّ واجباً حتماً وفرضاً مؤكداً على الملوك والأمراء والرؤساء والقادة المسلمين أو من ينوب عنهم، أن يطلبوا من حكومة الهند حماية المسلمين من هذه العصابات العابدة للبقر، الحاقدة أشد الحقد على المسلمين!

إنّ الهند إذا أرادت صداقة العرب والمسلمين، ينبغي أن يكون ثمن ذلك سكوت المسلمين على ما يتعرض له إخوانهم من تقتيل وتشريد وحرق للقرى ونهب للبيوت والمتاجر!!!

ان رسول الله ﷺ يقول:

(المسـلم أخـو المسـلم لا يظلمـه ولا يسـلمه) رواه البخـاري ومسلم.

أي لا يسلمه لأعدائـه، ولا يخذلـه فـي موطن يحتـاج فيـه الـى من ينصره.

وقال عمر بن الخطاب ﷺ :

(لأن استنقذ رجلاً من المسلمين من أيدي الكفار أحبّ إليّ من جزيرة العرب).

على أننا يجب أن لا يغرب عن بالنا انّ المسلمين في الهند من أشد المتحمسين لنصرة قضايا العرب والمسلمين.. فهل تقفون يا عرب موقف الوفاء؟!

وهل تنصرون إخوانكم وأخواتكم في الدين أيها المسلمون؟!

ومتى تمدون للمضطهد منهم يد العون لتخلصوهم من الإبادة الفردية والجماعية؟

لماذا يذبحون ونستكين

ولا أحداً يرد ولا يبين؟

اللإسلام نسبتنا وهذا

دم الإسلام أرخص ما يكون؟

تغوص خناجر الطاغوت فينا

وينحرنا التسلط والجنون

ونحن نغط في نوم بليد

وتضحك من بلادتنا القرون

وان المؤمنين بكل أرضٍ

طريد أو سجين أو طعين

*****

دم الإسلام مسفوك فمن ذا

يرد له الكرامة أو يصون؟

تحاصرنا المجازر كلَّ يوم

وتهدم في مرابعنا الحصون

فكم من مسجدٍ أضحى يباباً

وعاث به التهتك والمجون!

أعبّادَ العجولِ هناك أسدٌ

وأسد الله يبكيها العرين

مشهد من السيرة

كلما أقرأ أو أسمع قارئاً يقرأ قوله تعالى:

(لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا) سورة الفتح/١٨.

أو أقرأ أو أسمع قارئاً يقرأ قوله تعالى:

(مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلا مِنْ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ...) سورة الفتح/٢٩.

كلما أقرأ أو أسمع قارئاً يقرأ هاتين الآيتين الكريمتين أو مثيلاتهما من كتاب الله، تزداد عظمة الإسلام في نفسي، وتكبر مكانة الرسول ﷺ في عيني، فما هؤلاء الصحابة الكرام الذين نزل جبريل عليه السلام برضا الله عنهم ورضاهم عن الله إلا فضل من فضل الإسلام، وثمرة يانعة من ثمار النبوة الهادية الحانية ... وكلما يمتع المسلم نفسه بقراءة صفحات من حياة الصحابة الكرام وتاريخهم، يعظم يقينه بأن هؤلاء الكرام هم النموذج الحي والصورة الوضاءة المشرقة لما يحدثه الإسلام في نفوس الناس إذا أشربته قلوبهم، وزكت به نفوسهم. وهاكم مثلاً لصحابة عظام شرح الله صدورهم للإسلام، وصقلت نفوسهم المحاريب، وقدس أرواحهم القرآن تركوا الدنيا وزينتها، ووقفوا أنفسهم على خدمة الإسلام

ونشره والدفاع عنه، لم تشغلهم عن ذلك أموال وأهل وأولاد.

بعد أن بايع الأنصار رسول الله ﷺ بيعة العقبة الأولى، بعث معهم (مصعب بن عمير) ﷺ وأمره أن يقرئهم القرآن، ويعلمهم الاسلام، ويفقههم في الدين، فكان يسمّى المقرئ بالمدينة. وقد نزل على (أسعد بن زرارة) ﷺ وقد جلسا في حائط (بستان) واجتمع إليهما رجال ممن أسلم، وسعد بن معاذ وأسيد بن حضير يومئذ سيّدا قومهما من بني عبد الأشهل، وكلاهما مشرك على دين قومه. فلما سمعا به قال سعد بن معاذ لأسيد بن حضير: لا أبا لك، أنطلق إلى هذين الرجلين اللذين قد أتيا دارينا ليسفّها ضعفاءنا، فازجرهما وأنههما عن أن يأتيا دارينا ... فأخذ (أسيد بن حضير) حربته، ثم أقبل إليهما، فلما رآه (أسعد بن زرارة) قال لمصعب بن عمير: هذا سيّد قومه قد جاءك فاصدق الله فيه...

فوقف عليهما متشتماً فقال:

ما جاء بكما إلينا تسفّهان ضعفاءنا؟ اعتزلانا إن كانت لكما بأنفسكما حاجة.

فقال له مصعب: أو تجلس فتسمع، فان رضيت أمراً قبلته، وإن كرهته كفّ عنك ما تكره؟

قال: أنصفت، ثم ركز حربته، وجلس إليهما، فكلّمه

مصعب بالإسلام، وقرأ عليه القرآن، فقالا: والله لعرفنا في وجهه الإسلام قبل أن يتكلم في إشراقه وتسهله، ثم قال: ما أحسن

هذا الكلام وأجمله! كيف تصنعون إذا أردتم أن تدخلوا في هذا الدين؟

قالا: تغتسل فتطّهّر وتطهّر ثوبيك، ثم تشهد شهادة الحق، ثم تصلي.

فقام فاغتسل وطهّر ثوبيه، وتشهّد شهادة الحق، ثم قام فركع ركعتين، ثم قال لهما: ان ورائي رجلاً إن اتّبعكما لم يتخلف عنه أحد من قومه، وسأرسله إليكما الآن، سعد بن معاذ، ثم أخذ حربته وانصرف إلى سعد وقومه وهم جلوس في ناديهم، فلما نظر إليه سعد مقبلاً قال: أحلف بالله لقد جاءكم أسيد بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم. فلما وقف على النادي قال له سعد:

ما فعلت؟

قال: كلمت الرجلين، فوالله ما رأيت بهما بأساً، وقد نهيتهما فقالا: نفعل ما أحببت.. فقام سعد فأخذ الحربة من يده ثم قال: والله ما أراك أغنيت شيئاً، ثم خرج إليهما... فوقف عليهما متشتماً... فقال مصعب: أو تقعد فتسمع، فإن رضيت أمراً ورغبت فيه قبلته، وإن كرهته عزلنا عنك ما تكره؟

قال سعد: أنصفت. ثم ركز الحربة وجلس، فعرض عليه

الإسلام، وقرأ عليه القرآن قالا: فعرفنا والله في وجهه الإسلام قبل أن يتكلم لإشراقه وتسهّله، ثم قال لهما: كيف تصنعون إذا أنتم أسلمتم ودخلتم في هذا الدين؟

قالا: تغتسل فتطهّر ثوبيك، ثم تشهد شهادة الحق، ثم تصلي ركعتين. قال: فقام فاغتسل وطهّر ثوبيه، وتشهد شهادة الحق، ثم ركع ركعتين ثم أخذ حربته فأقبل عامداً إلى نادي قومه ومعه أسيد بن حضير ... فلما وقف عليهم قال:

يا بني عبد الأشهل، كيف تعلمون أمري فيكم؟

قالوا: سيدنا وأفضلنا رأياً وأيمننا نقيبة.

قال: فان كلام رجالكم ونسائكم عليّ حرام حتى تؤمنوا بالله ورسوله.

قالا: فوالله ما أمسى في دار بني عبد الأشهل رجل ولا امرأة إلاّ مسلماً ومسلمة[1].

وأود أن ننظر نظرة سريعة إلى هذه القبسة من حياة هؤلاء الصحابة ﷺ أجمعين.

وأول ما يلفت نظرنا أنّ الرسول الكريم ﷺ بعث مع الأنصار سيّدنا (مصعب بن عمير) (وأمره أن يقرئهم القرآن، ويعلمهم الاسلام، ويفقههم في الدين، فكان يسمى المقرئ بالمدينة). وهذه –لعمري– مهمة الرسول ﷺ وكلّ حاكم مسلم

يقتدي برسول الله فيحسن الاقتداء.

إن سيدنا مصعباً كان يقوم بمهمتين: تعليم من أسلم واقرائهم

(١) سيرة ابن هشام ٢/٧٨-٨٠ بتحقيق السقا والابياري وشلبي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ١٣٥٥هـ –١٩٣٦م

القرآن وتفقيههم في الدين، ودعوة من لم يسلم إلى الإسلام. ولقد سار الخلفاء الهادون المهديون بعد رسول الله ﷺ هذه السيرة، فكانوا يوصون ولاتهم أن يفقهوا الناس في الاسلام، ويعلموهم معالم دينهم فضلاً عن دعوة غير المسلمين إلى الإسلام! فهل يعي حكام المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها واجبهم هذا؟

هذا أولاً.

وثاني ما يلفت نظرنا قول (سعد) و (أسيد) –قبل أن يسلما–: أنّ مصعباً وأسعد بن زرارة قد أتيا دارينا ليسفّها ضعفاءنا!!

وحاش لله أن يكونا مسفّهين للضعفاء! إنها التهم تلصق بدعوة الحق من قبل أن يبعث رسول الله، وأثناء ما بعث وبعده ﷺ ! ألم يقل الله ﷻ له:

(مَا يُقَالُ لَكَ إِلاّ مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ)؟ سورة فصلت /٤٣.

ألم يقل الله له:

(وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبَإِ الْمُرْسَلِينَ)؟ سورة الأنعام/٣٤.

لقد برر فرعون محاولته قتل سيدنا موسى عليه السلام كما حكى عنه القرآن الكريم:

(وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ

يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الأَرْضِ الْفَسَادَ) سورة غافر/٢٦.

ولقد افتنّ أعداء الإسلام في هذا، والصقوا بالدعوة الإسلامية شتى التهم، ليصرفوا الناس والشباب عنها، فتساقطت تهمهم الكاذبة تحت الأقدام، وما أفلحوا فيما أرادوا وكما قال تعالى:

(... إِنَّ اللَّهَ لا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ) سورة يونس/٨١.

وثالث ما يلفت نظرنا قول سيدنا (أسعد بن زرارة) لسيدنا (مصعب بن عمير) لمّا أقبل إليهما (أسيد بن حضير): (هذا سيد قومه قد جاءك فأصدق الله فيه).

فأصدق الله فيه كلمة رائعة، هي طريقك ووسيلتك –أخي المسلم– في دعوتك إلى الله، أو أمرك بمعروف أو نهيك عن منكر، أو تقويم معوج!!

أمت حظّ نفسك –أخي المسلم– فيما تقول وفيما تفعل، فلا ترج من عمل تعمله أو قول تقوله رضا الناس والاشتهار، وان يشار إليك حتى يقال فيك كذا وكذا..!

انّ الشرك أخفى من دبيب النمل على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء! فاحذر –أخي المسلم– الشيطان، فان له مداخل خفية إلى النفس.

ورابع ما يلفت النظر قول سيدنا مصعب لكل من أسيد وسعد: (أو تجلس فتسمع، فإن رضيت أمراً قبلته، وإن كرهته كفّ عنك ما تكره) فقال كلّ منهما لمصعب: أنصفت .

وهنا تبرز لنا واضحة وضوح الشمس ثقة سيدنا مصعب بالإسلام، ويقينه أنه على الحق ومن كان كذلك دعا بالتي هي أحسن، وحاول بالتي هي أحسن، فيفتح الله له مغاليق القلوب فيشرحها للإسلام، وهذا الذي كان. فقد أسلم كل من أسيد وسعد وحسن إسلامهما، فكانا من أقرب الصحابة إلى قلب رسول الله ﷺ.

وتبرز لنا –كذلك – شخصية هذين الصحابيين الكريمين في تحكيمهما العقل وقولهما لسيدنا مصعب: أنصفت، ودخولهما في الإسلام عن طريق الاقتناع الحر!!

وخامس ما يلفت نظرنا وقوف سيدنا سعد بن معاذ في قومه بعد أن أسلم وقوله لهم:

كيف تعلمون أمري فيكم؟

قالوا: سيدنا وأفضلنا رأياً..

قال: فإن كلام رجالكم ونسائكم عليّ حرام حتى تؤمنوا بالله ورسوله!

قالا: فوالله ما أمسى في دار بني عبد الأشهل رجل ولا امرأة إلاّ مسلماً ومسلمة..!

رضوان الله عليك يا سيدنا سعد، يا سعد بن معاذ! وما أحرانا أن نقتدي –نحن المسلمين– في هذه الأيام بك؟

الا هكذا فليكن كلّ راع في رعيته، الملك في رعيته، وشيخ

القبيلة في قبيلته، والرجل في بيته، والمدرس في مدرسته، فكلنا راعٍ وكلّنا مسؤول عن رعيته!

الا هكذا فلتكن الاستجابة سريعة لله وللرسول بلا تباطؤ ولا تردد ولا تماهل!

ولو أن كلاً منا يكون في بيته أو مدرسته أو عشيرته مثل سيدنا سعد، لكان حالنا غير هذا الحال، وما الذي يحول بيننا وبين أن نقتدي بسيدنا سعد، وكتاب ربنا يحدونا بقوله تعالى:

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ) سورة الأنفال/٢٤.

وقوله:

(إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُوْلَئِكَ هُمْ الْمُفْلِحُونَ) سورة النور/٥١.

الأسوة الحسنة

نقرأ دائماً في صلواتنا وندعو الله بقوله:

(اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ۞صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ...)، وأول من أنعم الله عليهم هم الأنبياء... كما نقرأ قوله تعالى أمراً بالاقتداء بالأنبياء:

(أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمْ اقْتَدِهِ قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلاّ ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ) سورة الأنعام/٩٠.

وقد يسأل سائل: لماذا جعل الله ﷻ للناس من يقتدون بهم ويتأسون؟ وما الحكمة من وراء ذلك؟

والذي يظهر لنا –والله أعلم– أنّ الله ﷻ لما أمرنا أن نتحلى بمكارم الأخلاق ونحن بشر، بيّنَ لنا كيف يكون التحلي بها، وكيف يعلو ويسمو من يتحلى بها، فكان هذا المتحلي بمكارم الأخلاق، هو بشراً من البشر، جعله الله بفضله وتأديبه سيد البشر...

فإذا أردنا الصدق كيف يكون وكيف يعلو بصاحبه، نظرنا إلى محمد ﷺ فإذا هو الصادق المصدوق. وقد أجمع الناس على إجلاله وتمجيده وبصدقه، من آمن منهم ومن كفر!

وإذا أردنا الأمانة وكيف يكون الاتصاف بها، نظرنا إلى سيدنا محمد ﷺ فإذا هو سيّد الأمناء!

وإذا أردنا التواضع، وكيف يغلب الإنسان في نفسه دواعي

الكبرياء والتكبر، والتسلط والتجبر، متذكراً أن الكبرياء رداء الله وما من عبد تواضع لله إلا رفعه الله، نظرنا إلى رسول الله محمد ﷺ، لقد كان –صلوات الله وسلامه عليه– يأبى أن يظهر في أي مظهر كان من مظاهر السلطان أو الملك أو الرياسة، وكان يقول لصحابته الكرام:

(لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، إنما أنا عبد الله ورسوله) رواه البخاري والدارمي.

وقد بلغ في التواضع وشدة الوفاء أنه جاءه وفد من لدن (النجاشي)، فقام بنفسه يخدمهم، فقال له أصحابه:

نحن نكفيك.

فقال: (إنهم كانوا لأصحابنا مكرمين، وإني أحبّ أن أكافئهم).

وإذا أردت أن ترى الرحمة في أجلى مظاهرها وأوسع دوائرها غير مخصوصة بقوم دون قوم، ولا بجيل دون جيل، ولا قاصرة على الإنسان دون الحيوان، نظرنا إلى من وصفه الله بالرؤوف الرحيم سيدنا محمد ﷺ، فإذا رحمته شملت وعّمت، حتى أن الله ﷻ جعله هو رحمة فقال ﷻ:

(لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ) سورة التوبة/١٢٨.

الا إن رحمته صلوات الله وسلامه عليه –عمّت حتى الحيوان– فقد كان يقوم بنفسه فيفتح بابه لهرة تلتمس عنده ملجأ

من حر أو برد، أو جوع أو عطش، وقام بنفسه مرة على تمريض ديك مريض، وكان يمسح الجواد بكمّ قميصه! ولقد حذّر ﷺ من الاعتداء على الحيوان وتعمد إيذائه فقال:

(دخلت امرأة النار في هرة ربطتها فلم تطعمها ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض حتى ماتت) رواه البخاري ومسلم.

وإذا أردنا أن نرى كيف يكون الكبير مع الصغير، والحاكم مع المحكوم، والرئيس مع المرؤوس، والمتبوع مع التابع، نظرنا إلى رسول الله ﷺ ، فإذا هو يخالط الناس، ويظهر كأنه واحد منهم.. كان إذا دخل مجلساً جلس حيث ينتهي به المجلس، وكان يمازح أصحابه ويخالطهم ويحادثهم، ويداعب صبيانهم ويجلسهم في حجره، ويجيب دعوة الحر والعبد، والأمة والمسكين، ويعود المرضى في أقصى المدينة، ويقبل عذر المعتذر، ويبدأ من لقيه بالسلام، ويبدأ أصحابه بالمصافحة، ولا يجلس في انتظاره أحد وهو يصلي إلاّ خفف صلاته وسأله عن حاجته، فإذا فرغ عاد إلى صلاته!

وإذا أردنا أن نرى طيب النفس وسعة الصدر، والسماحة والعفو عند المقدرة، نظرنا إلى رسول الله، فقد كان صلوات الله وسلامه عليه أطيب الناس نفساً، وأكثرهم تبسماً ما لم ينزل عليه القرآن أو يعظ أو يخطب. وكان ﷺ يرقع ثوبه في بيته، ويحلب نعجته، ويصلح نعله، ويخدم نفسه، ويشّد البعير، ويأكل مع

الخادم، ويقضي حاجة الضعيف والبائس والمسكين، وكان إذا وجد أحداً في حاجة آثره على نفسه وقدمه ولو كان به خصاصة، وكان لا يدخر شيئاً لغده، حتى لقد توفي ودرعه مرهونة عند يهودي في قوت لعياله!

وفي بيته كان صلوات الله وسلامه عليه عظيم الأدب، كامل الوقار، أنيساً مؤنساً، طيباً لا يتكلم إلا طيباً، ولا يفعل إلا طيباً. قال أنس ﷺ :

خدمت النبي ﷺ عشر سنين، فما قال لي أف قط، ولا قال لشيء صنعته لمَ صنعته؟ ولا لشيء تركته لمَ تركته؟

وفي رواية لأبي نعيم قال أنس:

فما سبني ﷺ قط، ولا ضربني ... ولا انتهرني ولا عبس في وجهي ولا أمر في أمر فتوانيت فيه فعاقبني عليه: فإن عاتبني عليه أحد من أهله قال: دعوه! لو قدر شيء كان.

أما دماثة خلقه وإشاعته الأنس في بيته، فحدث ولا حرج. روى ابن سعد عن عائشة ﷺ أنها سئلت: كيف كان رسول الله ﷺ إذا خلا في بيته؟ فقالت:

(كان ألين الناس، بسّاماً ضحاكاً، لم ير قط ماداً رجليه بين أصحابه).

وإذا أستأذنه أحد ليدخل بيته الشريف، هشّ في وجهه وبشّ، واسمعه الطيب من الكلام.

أما سماحته وعفوه عند المقدرة، فماذا عسى الإنسان أن يذكر منها؟

إن بحر سماحته وعفوه عند المقدرة وصفحه لا ينفد، مهما تكلمت واقتبست. تذكر كتب الحديث انه ﷺ أوى إلى ظل شجرة ليستريح بعد أن علّق سيفه بغصن من أغصانها. فباغته أحد المشركين، وتناول السيف واستله من غمده ووقف على رأسه الشريف وهزّ السيف فوقه وقال له:

من يخلّصك مني؟

فقال له رسول الله ﷺ قولة الواثق الموقن بتأييد ربه، قال له: الله.

فوقع السيف من يد المشرك، فتناوله الرسول الكريم، وهزّه في وجه المشرك وقال له:

وأنت من يخلّصك؟

فقال له: يا محمد، كن خير آخذ!

قال المصطفى: قل أشهد أن لا آله إلا الله وأني رسول الله.

فقال المشرك: لا. غير أني لا أقاتلك ولا أكون معك، ولا أكون مع قوم يقاتلونكم..

فخلى رسول الله ﷺ سبيله، فجاء الرجل أصحابه فقال: جئتكم من عند خير الناس.

أما عفوه وصفحه عن أهل مكة لما أمكنه الله منهم بعد الذي

فعلوه واجترحوه واقترفوه، فأمر أشهر من أن يذكر.. وقد كانوا يتوقعون منه ذلك لما عرفوه من كريم خلقه وسعة حلمه وعظيم عفوه، وقد أجابوه لما قال لهم: ما ترون إني فاعل بكم؟

قالوا: خيراً، أخ كريم وابن أخ كريم.

قال: اذهبوا فأنتم الطلقاء!

وإذا أردنا أن نرى الكرم والجود والسخاء أعظم ما يكون الكرم والجود والسخاء فلننظر إلى رسول الله، فلقد كان أجود بالخير من الريح المرسلة، أعطى ذات مرة رجلاً غنماً بين جبلين، فذهب هذا إلى قومه يصيح: يا قوم أسلموا، فإن محمداً يعطي عطاء من لا يخشى الفقر... ولقد كان كذلك ﷺ كان يحب أن يرى الناس في رغد ورخاء، أما هو، فقد كان شديد الزهد، حتى لقد كان يشد على بطنه حجراً من شدة الجوع أكثر من مرة! وما عرف عنه أنه شبع قط، وكان طعامه بسيطاً للغاية، كان أكثر ما يكون الأسودين: التمر والماء... ولقد كان يمر على بيته الشهر والشهران ولا يوقد فيه نار.

وإذا أردنا أن نعرف كيف يكون الثبات عند الشدائد والهول المرعب والضيق المجهد والموت يتخطف الناس من كل جانب أو يكاد، وإذا أردنا أن نعرف كيف يكون لقاء الأمل في نصر الله والثقة في صدق وعد الله بالنصر المؤزر عند اشتداد الهول، وتزلزل الأرض تحت الاقدام، وتعاظم الخوف، نسمع سيدنا سلمان

الفارسي يحدث عن نفسه وعن رسول الله يوم الخندق فيقول:

ضربت في ناحية من الخندق فغلظت عليّ صخرة ورسول الله ﷺ قريب مني. فلما رآني أضرب ورأى شدة المكان عليّ نزل فأخذ المعول من يدي فضرب به ضربة لمعت تحت المعول برقة. قال: ثم ضربه ضربة أخرى فلمعت تحته برقة أخرى. قال: ثم ضرب به الثالثة فلمعت تحته برقة أخرى. قال: قلت بأبي أنت وأمي يا رسول الله، ما هذا الذي رأيت لمع المعول وأنت تضرب؟

قال ﷺ: أو قد رأيت ذلك يا سلمان؟

قال: قلت نعم.

قال: أما الأولى، فإن الله فتح عليّ بها اليمن.

وأما الثانية، فإن الله فتح بها عليّ الشام والمغرب.

وأما الثالثة، فإن الله فتح بها عليّ المشرق.

وإذا ابتغينا المثل الأعلى في كره الظلم وتكريهه إلى الناس والنفرة منه وتنفير الناس منه، فلنستمع إليه صلوات الله وسلامه عليه وهو يقول:

(اتقوا الظلم، فأن الظلم ظلمات يوم القيامة..) رواه الإمام احمد والبخاري في الأدب.

ويرهب ويحذر من يدعو للظالم بالبقاء فيقول:

(من دعا لظالم بطول البقاء فقد أحبّ أن يعصى الله) رواه البيهقي في الشعب.

وبـيّن ﷺ أن الأمـة المسـلمة إذا وصـلت إلـى حـد الا تجهـر بالحق ولا تكافح منكراً ولا تزهق باطلاً، فقد صارت لا خير فيها. يقول ﷺ:

(إذا رأيت أمتـي تهـاب أن تقول للظـالم انـك ظـالم فقد تـودع منهم) رواه أحمد والطبراني والحاكم والبيهقي.

ولقد كره النفاق وكرّهه ونفر منـه ونفّر النـاس منـه كمـا كـره الظلم ونفّر منـه فقد قـال عليه السلام : (تجدون شر النـاس يـوم القيامـة عند الله ذا الوجهين، الذي يأتي هؤلاء بوجـه ويأتي هؤلاء وجـه) رواه احمد والبخاري ومسلم.

وعن محمد بن زيد ان ناساً قالوا لجده عبد الله بن عمر رضي الله عنه : إنـا لندخل علـى سلطاننا فنقول بخـلاف مـا نـتكلم إذا خرجنـا مـن عنده فقال رضي الله عنه:

كنا نعد هذا نفاقاً على عهد رسول الله ﷺ.

وكمـا نهـى عـن الظلـم والنفـاق ذمّ المبطلـين ونهـى عـن معاونتهم: فعن كعب بن عجرة أن رسول الله ﷺ قال:

(سيكون بعـدي أمـراء، فمـن دخـل علـيهم فصـدقهم بكـذبهم، وأعـانهم علـى ظلمهم فليس منـي ولسـت منـه، ولـيس بـوارد علـيّ الحـوض، ومـن لـم يـدخل علـيهم ولـم يعـنهم علـى ظلمهـم ولـم يصدقهم بكذبهم فهو منـي وأنـا منـه وهو وارد عليّ الحوض) رواه الترمذي.

فلا تعجب –أخي المسلم– إذا علمت أن الصحابة الكرام أحبوا الرسول الكريم حباً عظيماً، ليس أعظم منه إلا حبهم لله تعالى. لقد بذلوا أنفسهم إيماناً به وفداءاً له، وما رغبوا بأنفسهم عن نفسه، ولا آثروا ولا فضّلوا أحداً عليه! يقول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ وقد سئل: كيف كان حبكم لرسول الله ﷺ؟ فقال:

(كان رسول الله ﷺ أحبَّ إلينا من أموالنا وأولادنا وآبائنا وأمهاتنا، وأحبَّ إلينا من الماء البارد على الظمأ).

وإليكم هذه الحادثة الفذّة التي تغني عن كل كلام وتعليق:

روى البيهقي وابن اسحق أنّ امرأة من الأنصار قد قتل أبوها وأخوها وزوجها شهداء يوم أحد مع رسول الله ﷺ فقالت لما أخبرت بذلك:

ما فعل رسول الله ﷺ؟ إنها تريد الاطمئنان إلى بقائه وسلامته.

قالوا: هو بحمد الله كما تحبين!

فقالت: أرونيه حتى أنظر إليه. فلما رأته ﷺ قالت:

(كل مصيبة بعدك جلل).

ومعنى قولها –رضوان الله عليها–: أن سلامته وبقاءه ﷺ هوّن عليها مصابها في أعزائها الثلاثة، أبيها وأخيها وزوجها.

ومما يؤكد محبة الصحابة –رضي الله عنهم– بكاؤهم عند

ذكره ﷺ فهذا ابن عمر ﷺ ما سمع يذكر رسول الله ﷺ إلا ابتدرت عيناه تبكيان!

وهذا أنس ﷺ يقول: ما من ليلة إلا وأنا أرى فيها حبيبي ﷺ ثم يبكي!

وبعد:

فإن هناك أناساً ممن وقعوا صرعى الأفكار الغريبة عن الإسلام، البعيدة المنافية له، يرددون عن جهل: إن تعاليم هذا الدين مثالية لا يمكن أن تطبق!!

وما ذكرناه عن سيدنا ﷺ واتصافه بمكارم الأخلاق وتحلي صحابته الكرام بها، هم ومن اتبعوه بإحسان، دليل لا ينقض على أنّ هذا الدين دين واقعي، ليس فيه ما يصعب على الناس أن يتمسكوا به ويحكموه في حياتهم!

وحمداً لك يا رب على أن أنعمت علينا بهذا الدين الذي ما جعل فيه علينا حرجاً ولا كلّفنا بما ليس في وسعنا أن ننهض به، ولا حمّلنا ما لا طاقة لنا به!

يا ويح هؤلاء! أيتركون الاقتداء برسول الله وصحابته الكرام وهم كالنجوم بأيهم اقتدينا اهتدينا، ويقتدون بأعداء ديننا ممن أمرنا الله ﷻ أن نهديهم إلى الإسلام وندعوهم إليه؟!

يا ويحهم! يرون الباطل ذائعاً منتشراً معمولاً به في أكثر أقطار الأرض بعد أن ارتدت إلى جاهلية أفظع من الجاهلية

الأولى.. أفيكون الباطل ممكن التطبيق ولا يمكن تطبيق الحق؟
يا هؤلاء، ما لكم؟ كيف تحكمون؟!

المحتوى

مقدمة ٥

الوحدة الإسلامية ٧

كلمة خالدة ١٤

العدالة أولاً ٢٠

رجال المحراب ٢٨

مدرسة الدعاة ٣٧

من وحي المساجد ٤٤

من صور المساواة ٤٩

وجاءت الذكرى ٥٨

الحرية بين المسخ والتطبيق ٧١

الصحوة الإسلامية ٧٨

الإيدز الفكري ٨٨

يوم المعلم ٩٢

وداعاً رمضان ٩٦

إلى الملوك والرؤساء ١٠٠

يا عيد ١٠٤

مشهد من السيرة ١١٠

الأسوة الحسنة ١١٩